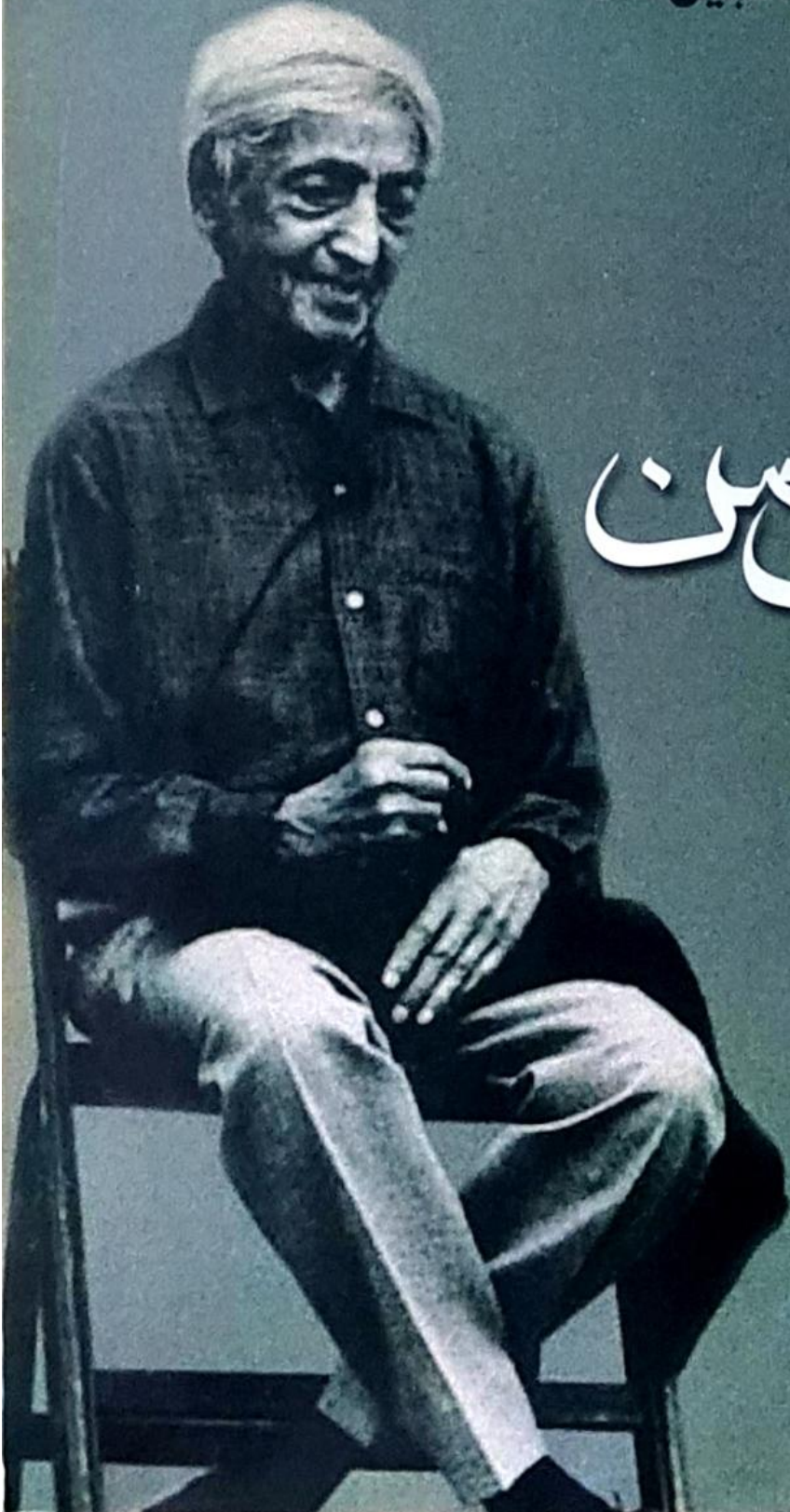


Jiddu Krishnamurti

كريشنا مورتى
ترجمة: نبيل سلامة

القلق من دون خوف



دار
الكتاب
العربي

العقل من دون خوف

كريستينا مورتي

العقل من دون خوف

ترجمة : نبيل سلامة

العقل من دون خوف

تأليف: كريشنا مورتى

ترجمة: نبيل سلامة

عدد الصفحات: (154)

القطع: (14.5 × 22)

الناشر: دار كنعان

للدراستات والنشر والخدمات الإعلامية

جميع الحقوق محفوظة

دمشق - ص.ب 443 تلفاكس: 2322116 (11 - 963 +)

E-mail: kanaan.said1@gmail.com

يمكن متابعة إصدارات الدار على فيسبوك دار كنعان

ISBN: 978-9933-514-33-4

الطبعة الأولى: 2019 / عدد النسخ 1000

إخراج: القسم الفني - دار كنعان للدراستات والنشر

الإشراف العام: سعيد البرغوثي

تقديم

يذكرني هذا الحكيم الذي دُعِيَ باسم كريشنا مورتى¹، خلال حياته الأرضية، بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، والحق أن التجربة الروحية لها تقاطعات واضحة عبر التاريخ خصوصاً بين كبار الحكماء والمتصوفة والروحانيين، وما يجعلني أتذكر الشيخ الأكبر عند قراءتي لكريشنا مورتى أن هذا الأخير عندما يتكلم فإن كل كلمة ينطق بها لها معنى ودلالة؛ فهو لا يثرثر عبثاً، وإنما يتدفق ينبوع حكمة تنبثق من عمق أعماق كيانه. وعلى هذا النحو تصبح كلماته اهتزازات حيّة، طاقة، وألواناً نستطيع تلمسها بقلوبنا وعيون قلوبنا، ونعمل على التمعن بها والتأمل فيها، لأننا لا نستطيع معرفتها من خلال عقولنا. وهذا ما يصرّ عليه هذا الحكيم الكبير، ولذلك يطلب منا أن نلمسها بكامل كياننا، بعقلنا وقلبنا وعمق وجودنا.

إذاً عندما نقرأ محاضرات كريشنا مورتى، فهي تلامس قلوبنا وأرواحنا العميقة، فنشعر أن كل محاضرة هي أشبه ما تكون بسوناتة بيانو لـ"شوبان" أو "شوبيرت". إنه عازف ماهر يرتجل علاماته الموسيقية

¹ اسمه جدو كريشنا مورتى Jiddu Krishnamurti وُلِدَ في شهر أيار سنة 1895 في قرية صغيرة تُدعى مادانا بال Madanapalle بالقرب من مدراس في جنوب الهند. (جدو اسمه العائلي، ولكن من العادة عند الهندوس استخدام هذا الاسم) وكونه الابن الثامن من عائلة البراهمانيين (طبقة البراهما) فقد تلقى وفقاً للموروث اسم "كريشنا مورتى" إكراماً لشري كريشنا Shri Krishna، وهذا الأخير هو ألوهة لدى الهندوس حيث يعتقدون أنه تجسد في ابن ثامن لعائلة يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الميلاد. (المترجم)

من خلال كلامه الجميل الحامل للطاقة كما سبق وذكرنا قبل قليل. وهكذا فهو يشدّد على إدراك الطاقة، وليس الوقوف عند عتبة الكلمات، وهذه الطاقة تصل إلينا، ولكن مشاكلنا ودفاعاتنا ومقاومتنا وردود أفعالنا وإشراباتنا... الخ، تقف عقبة أمام فعل هذه الطاقة في أعماقنا. ويشير كريشنامورتي إلى أن التحول الروحي يحصل في اللحظة الحاضرة حالاً وفوراً "الآن وهنا"، وإلا سنظل أسرى وعبيداً لوهم الزمن السيكولوجي الذي لا يتعدى كون "الأنا" تبلوراً وهمياً لما نسميه "الزمن السيكولوجي"، وهكذا فـ"الأنا" ليس سوى حزمة من الذاكرات التي تكونت منذ الطفولة الباكرة. وشيئاً فشيئاً يصير هذا "الأنا" جذر المعاناة والخوف والموت والزمن، طالما أن بُنيته تكوّنت من الزمن السيكولوجي، فهو يُنتج الزمن أيضاً، وبعبارة أخرى "الأنا" هو عبارة عن فكر، وهذه الشبكة من الفكر هي مجموعة استجابات أو طريقة معينة للاستجابة لتحديات حياتنا اليومية. وبالتالي "الفكر" هو زمن تابع من الذاكرات، وينتج "الزمن". وهكذا نظل أسرى ضمن هذه الحلقة المفرغة إلى أن ندرك كَلّانية الحياة من خلال فعل خَلّاق من دون مجهود، تابع من الحب، وفقط الحب يستطيع أن يعبر عن كَلّانية الحياة، والوعي هو كَلّانية الوجود، وينبع الوجود والحياة من الفعل الخَلّاق الذي يفصح عنهما، ويحررنا من هذا "الأنا" المركزي، من خلال فهم سياقه وفعله المجتزأ. وهذا الفهم يعبر عن النضج، وهو ليس فهماً فكرياً بل إدراكاً وجودياً...

لا أبالغ القول إذا ما قلتُ إن هذا الحكيم - أي كريشنامورتي - يذكرني بأحد آلهة الأولمب الإثني عشر، وهو إله الأدوات والآلات المعدنية الذي تقوم ورشة عمله في عمق بركان إتنا. لا شك أن هذا الإله يعبر عن طاقة فاعلة في كياننا، وبلغة عالم النفس الكبير كارل يونغ فهو نمط

بدئي Archetype يعمل في اللاشعور الجمعي، وبعبارة أخرى إن هذا الإله الذي يُدعى هيفيستوس هو ذلك الخيميائي فينا، الذي يحول معدن نفوسنا الخسيسة إلى ذهب روحاني، إلى عنصر أبدي، وهذا ما سعى إليه كريشنامورتي طيلة حياته. ومن دون شك لا ننسى خصوصية تجربته منذ سني طفولته الأولى وتعلمه على أيدي الثيوصوفيين الذين تبنوه صغيراً وفقاً لعقيدتهم، وقاموا برعايته والاهتمام به خصوصاً من قبل رئيسة الجمعية آنذاك آني بيزانت، وقاموا بتوجيهه وتربيته تربية روحية ونفسية وأخلاقية صارمة انعكست على مسار حياته كلها، وجدتيته الصارمة نابعة من ذلك النظام الصارم الذي زجوه فيه منذ الصبا، لكنه لا يخلو مطلقاً من حس الدعابة، فها هو ذا يشبه الرجل والمرأة كل منهما بخطين متوازيين لسكة حديدية، حيث كل واحد منهما يسعى إلى تحقيق ذاته، ولكن هذين الخطين المتوازيين لا يلتقيان إلا في السرير!.

إذاً كما سبق وذكرنا أن النضج هو عملية إدراك وجودي فمن الضرورة بمكان أن نوضح أكثر عما يقصده كريشنامورتي حين يلجأ إلى هذا التعبير، أي الإدراك، إذاً أي إدراك يقصد؟ يقول:

"إنه إدراك غير ناتج عن الزمن أو الفكر، وقادر على فهم الطبيعة الكلية للصراع الداخلي، وقادر بسبب ذلك الفهم على الخروج بنتيجة تُنتهي الصراع، فالفكر هو الزمن. الفكر هو التجربة والمعرفة اللتان تتجمعان في الدماغ على شكل ذاكرة. وهذه الذاكرة من نتاج الزمن... كل هذا المنهج الخارجي - أي التجربة والتعلم - موجود داخلياً، فأنا لم أصبح، لكنني سأكون. لذلك فإن الفكر هو الزمن، ونحن لا نستطيع فصلهما أبداً".

ماذا نستطيع أن نفهم مما يقوله عن الإدراك؟ إنها أشبه بحالة

تُسمى باليونانية "النوس" أي "الذهن" ولكن بمعنى مختلف تماماً عن كلمة العقل باليونانية، فالذهن بالنسبة للباحثين الأرثوذكس بخلاف العقل، لا يعمل على أساس صياغة المفاهيم المجردة والدخول في جدل، وصولاً إلى نتيجة من خلال الاستدلالات المنطقية، بل يفهم "الذهن" الحقيقة بواسطة الخبرة المباشرة والحدس، أو بما يسميه أحد النساك الأرثوذكس بـ"الإدراك البسيط". ربما أستطيع المجازفة هنا لأقول: تكمن حالة الإدراك في اختفاء الراصد، أي "الأنا"، وبهذا يصبح الذهن أشبه بمرآة تعكس مباشرة كل ما يمر أمامها وحولها وفيها، ليس ثمة أي تماه، وليس ثمة كثافة حسية تحجب الرؤية، وليس ثمة "أنا" يتماهى مع العقل أو الجسد أو الهوى، وإنما فقط إدراك مباشر دون تدخل أو إدانة ...
وبعبارة أخرى يوضحها أوشو:

"الرجل الحقيقي المتفهم يتصرف بطريقة كلية، ولكنه يتصرف في اللحظة الآنية وبوعي. إنه يشبه المرآة. والرجل العادي غير الواعي يشبه فيلم الكاميرا الفوتوغرافية وليس المرآة. ما الفرق بين المرآة والفيلم؟ عندما يتم تظهير الفيلم يصبح غير ذي قيمة. إنه يحمل الآن صورة لا تتغير. ولكن هذه الصورة ليست الحقيقية. لأن الحقيقة تنمو باستمرار. يمكنك أن تدخل إلى الحديقة وتأخذ صورة لشجرة ورد. ستكون الصورة نفسها غداً أو بعد غد. ولكن إذا نظرت إلى شجرة الورد غداً أو بعد غد فلن تكون نفس الشجرة. تساقطت ورود وتفتحت ورود أخرى. وحصلت آلاف الأشياء".

يتابع كريشنا مورتى قائلاً:

"هل نستطيع مراقبة الألم - ولا يهم ما هو - من دون تسميات، ومن دون الاستعانة بالذاكرة؟ بمعنى التفكير بالشخص دون النظر إليه من خلال الذكرى. أي النظر إليه من دون تسميته، من دون زمن، ومن

دون ذكريات، والنظر أيضاً إلى نفسك - إلى تلك الصورة التي كونتها عن نفسك، وإلى الصورة التي بنيتها عن الآخرين، أنظر إليها، وكأنك تراها للمرة الأولى، كما تنظر إلى الورد لأول مرة. تعلم أن تنظر... هنا يضعنا هذا الحكيم الكبير أمام أحجية، كيفية النظر؟، يسعفنا من هذا المأزق أو شو الذي نشعر بحضور حكيم كبير أيضاً في أعماقه وسط كل تناقضاته، فلنسمعه كيف يوضّح لنا ما أراد كريشنامورتي أن يعلمنا إياه:

"يجب أن تجلس وتسمح للأمور أن تحصل لك. وعندما تنظر إلى غروب الشمس، لا يُتوقّع منك القيام بأي شيء. أنت فقط تنظر. وعندما تنظر إلى زهرة، ماذا يُفترض منك أن تفعل؟ النظر لا غير. في الواقع، أنت لا تبذل أي جهد، حتى عندما تنظر إلى الزهرة. عيناك مفتوحتان، والزهرة هناك. وعندما يختفي الناظر والمنظور، تولّد لحظة وصال عميقة ويولّد الجمال. عند ذلك أنت لست المراقب، والزهرة ليست المراقبة. الآن أنت هناك والزهرة هناك، وبطريقة ما تتداخل الحدود في ما بينكما. تدخل الزهرة إليك، وأنت تدخل إلى الزهرة ويولد التجلي".

نعود إلى كريشنامورتي إذ يقول:

"عندما تهتم بمراقبة طفلك أو زوجك أو نباتاتك، الأشجار، الطيور. أنت ترصد دون إدانة، دون تماء، لذا فإن في رصد كهذا وصالاً تاماً: الراصد والمرصود يكونان في وصال تام. وهذا يحدث فعلاً حين تكون مهتماً لشيء ما اهتماماً بالغاً، عميقاً.

يوضّح كريشنامورتي الأمر أكثر في كتابه الحرية الأولى والأخيرة حين يقول:

"في لحظة التجربة ليس هناك من راصد ولا من مرصود: هناك

الاختبار فقط، فأنت حينما تختبر تجربة عميقة أياً كان نوعها ماذا يحدث؟ هل تعي نفسك؟ إنك تذهل عن نفسك تماماً، فقط بعد أن تنتهي التجربة هناك المجرّب والمجرّب موضوع التجربة. الراصد والمرصود وجهان لظاهرة واحدة، وبالتالي، لا يوجد سوى الاختبار. والانتباه هو حالة لا إدانة فيها، ولا تسويغ، ولا تماهي. وبالتالي فهم في تلك الحالة من الانتباه الساكن اليقظ ليس ثمة من مجرّب ولا من مجرّب".

يقول كريشنا مورتى:

"معظم البشر بليدون، راكدون، ويفضلون مواصلة الحياة بشخصياتهم النمطية القديمة، بعاداتهم التفكيرية ذاتها، ويرفضون كل ما هو جديد لأنهم يعتقدون أن العيش مع المؤلف أفضل بالنسبة لهم من المجهول فهو يمدّهم بالأمان - كما يعتقدون - ولذا، يتابعون تكرار ما يقومون به ويعملون ويكافحون ضمن المحيط المؤلف بالنسبة لهم".

صحيح أن كريشنا مورتى عندما يتحدث عن الشخصية النمطية، فهو يقصد مجموعة هائلة من الشخصيات التحتية، ولكن، كيف تتكون الشخصية النمطية أو أنماطنا التي نصير أسرى لها مدى العمر...؟ إن الشخصية النمطية أو أنماطنا تتكون بفعل الذاكرة أولاً وأخيراً، وذلك من خلال المعرفة التراكمية عبر الزمن، وهكذا نسمع كريشنا مورتى يقول: "أدمغتنا مشروطة بهذا النمط الذي هو مراكمة المعرفة ومن ثم الفعل...". بعبارة أخرى، يصيغ كريشنا مورتى كلامه قائلاً: نحن نحصل على المعرفة من خلال التجربة، مخزّنين المعرفة بشكل ذاكرة، تستجيب الذاكرة من خلال الفكر، ومن الفكر ينتج الفعل، ومن الفعل والتفاعل نتعلم المزيد، تبدأ الدورة من جديد. هذا هو نمط حياتنا. وهذا الشكل

من التعلم لن يحل مشاكلنا إطلاقاً لأنه مبني على التكرار.
وبالتالي، يشدد كريشنا مورتى أنه لكسر النمط وعدم تكراره لا بد من
معرفة لاتراكمية، لأزمنية، تضعنا في الآن، في الحاضر، أي كما أنا، وما
أنا عليه، وقبول غير مشروط لكل شيء!!

ولكن كيف يحصل ذلك؟

يقول كريشنا مورتى:

"إن الدماغ المُبرمج على الصراع هو من دون شك أسير ذلك النمط.
ونتساءل عن إمكانية إيقاف هذا النمط مباشرة، وليس بشكل
تدريجي. قد تعتقد أنك قادر على الخلاص منه بالهروب عبر إدمان
المخدرات أو الكحول أو الجنس أو أشكال عديدة أخرى من الضوابط
أو عبر استسلامك لشيء ما .

ولكن أول ما يجب عليك إدراكه هو أنه لا يوجد غد سيكولوجي. إن
اكتشفتَ هذا حقاً، لا نظرياً، إنما بقلبك وعقلك، في أعماق أعماق
وجودك فإنك ستكتشف أن الزمن ليس بوسعه حل العضلة. ومجرد
إدراك ذلك فهذا يعني أنك كسرت النمط وبدأت ترى شقوقاً وثغرات
في النمط الذي فهمناه عن الوقت كوسيلة وكأداة لحل ألغاز هذا
الدماغ المبرمج والانفصال عنه. وعندما تفهم ذلك في قرارة نفسك
بوضوح، وتعرف أن مرور الوقت لن يحركك حتماً، فستبدأ بملاحظة
التصدعات في السياج المحيط بالعقل".

وهكذا يصل بنا "كريشنا مورتى" عبر محاضراته المتوالية إلى "العقل
المستتير"، إلى الاستنارة الروحية، فالاستنارة لا تأتي حسب رأيه باتباع
طرق للتأمل أو مناهج تتبعها عدة مدارس للتأمل، بل تأتي فجأة في
لحظة إما حرجة جداً لدرجة أن الفكر يتوقف فيها، وسنرى لاحقاً مثلاً
حياً واقعياً عن هذا، أو في لحظة يكون العقل فيها صافياً وفارغاً من

محتواه فيحدث الصمت، ويختفي "الأنا - الراصد" تماماً في هذا الصمت العجيب الذي لا يمكن معرفته، ولا التعرف عليه لأنه جديد في كل لحظة، وهكذا يستتير الذهن من لحظة إلى لحظة يزداد عمقاً وحكمة وتعلماً ووعياً للوجود والحياة. إذاً كريشنا مورتى يدفعنا إلى هذه الاستتارة التي تحصل كما سبق وذكرنا عندما يواجه العقل تحدياً خارقاً يجعله يتجاوز حدوده، وبالتالي، تتجاوز الزمن السيكولوجي ويشعر بنفحة الأبدية تلوح في أعماقه، وها هو في استتارة مباركة، وتحضرني هنا مقولة الحلاج التي سنتكلم عن فحواها ومعنى الاستتارة المخبوء في ثناياها بإسهاب من خلال مثال حي وواقعي كما قلنا قبل قليل.

سوف أوضح واقع الاستتارة العملية غير الممنهجة التي يحدثنا عنها كريشنا مورتى من خلال حدث يوضح لنا من جهة واقع الاستتارة هذا ومن جهة أخرى معنى أبيات الحسن بن منصور الحلاج صاحب المقولة الشهيرة "أنا الحق".

يروى لنا خبير الحياة الاستراتيجي "بيت" قصة حقيقية. يقول "بيت" إننا عند مواجهتنا لتحدٍ ما فاستجابتنا تتجلى بأحد موقفين، أحدهما "الهرب"، والآخر "المواجهة". ويروي لنا قصة "بارليت" الذي كان مع صديقه "بيتر" في إحدى الجزر البريطانية في المحيط الأطلسي، وهما واقفان على جرف صخري موجود على الجنوبي الغربي لجزيرة جيرسي، ولكن الأمواج كان يصل ارتفاعها إلى نحو الاثني عشر قدماً، والمحيط في هذا المكان يجيش بشكل مضطرب على جوانب صخور رأسية ذات نقطة قرنفلية أثرت فيها حركة الأمواج على مدى عقود حتى جعلتها صخوراً ملساء.

"إذاً كان "بارليت" يصطاد من فوق صخرة ناتئة من الغرانيت عندما سمع صرخة، وشعر بلطمة سريعة على جانبه الأيسر، ليرى صديقه

"بيتر" وهو يتعثر ويسقط أمامه.

يقول "بارليت": "لقد ابتعدت قليلاً إلى أحد الجوانب، وأنا أرى "بيتر" وهو يسقط أمامي، لقد ابتعدت قليلاً إلى أحد الجوانب، وأنا أرى "بيتر" وهو يسقط على رأسه مخترقاً طريقه عبر الصخور". ولم يسقط "بيتر" الضخم إلى الماء مباشرة، وشعر "بارليت" بالخوف وهو يشاهد صديقه الذي يبلغ عمره 61 عاماً وهو يرتطم بالصخور، مما أصاب رأسه بإصابات بالغة قبل أن يسقط على وجهه نصف واع في هذا الماء البارد للغاية.

"لم يفكر "بارليت" في سلامته الشخصية، وأسرع بالقفز من فوق 25 قدماً بين الأمواج المرتفعة، وكانت الصخور ناعمة كالرخام، وترتفع فوق المحيط بشكل عمودي، ولم يكن هناك وقت أمام "بارليت" ليفكر كيف سيخرج هو وصديقه من هذه المياه الباردة، ولكنه كان يعرف أنه إن لم ينته من هذا بسرعة فإن برودة الماء ستودي بحياتهما معاً.

يقول "بارليت": "كان أول ما جال بتفكيري هو أن "بيتر" قد مات، لأنه ليس من الممكن أن ينجو أحد من مثل هذه السقطة، ولكنني شعرتُ بعد ذلك بأنه عليّ فعل شيء ما، ولم أكن أتوقع رد الفعل الذي قمتُ به، فقد تراجعت خطوة لأقفز، ولكنني شعرتُ فجأة كما لو أن موجة كهربائية سرت في جسدي، ولم يكن لذلك صلة بالعقل، ولا صلة له بالتدريب، أو اللياقة البدنية، وكل ما في الأمر أنني أدركت أنه عليّ أن أقفز، وبمجرد أن واتتني الفكرة وجدتُ نفسي في الماء، وأمسكتُ "بيتر" في معطفه وسحبته نحوي، وكان بالكاد يعي ما يدور حوله، وعندما كنتُ في الماء بجوار "بيتر" باتت الأمور واضحة تماماً، وكنتُ أعرف أنه عليّ أن أحافظ على هدوئي، ولكن الوقت بدا ضيقاً، وكان عقلي يقوم بتنظيم المعلومات، وأصبحت المعلومات الحسية العادية أمراً ثانوياً، ولم أكن

أشعر بالبرد على الرغم من أن برودة الماء كانت كفيلاً بإصابتنا بالهايبرثرميا خلال 15 دقيقة. ولم أكن أشعر بالبلل، ولا حتى أنني في الماء، فقد شعرتُ بأنني فوق الماء، كما لو كنتُ معلقاً في الهواء. وبينما كان ارتفاع الموج يقترب من ذروته، أمسكتُ "بيتر" بإحدى اليدين ومددتُ الأخرى لأمسك بالصخور... وبينما أتخبطُ في إنقاذه شعرتُ أن طاقتي بدأت تتفدّ سريعاً، ومع كل مرة كان الموج يرفعنا إلى أعلى بحيث نكون في مواجهة الجرف، ثم يهبط بنا إلى الماء مرة أخرى، حينئذ بدأت أشعر بالخوف لأن طاقتي أصبحت في لحظة من اللحظات أقل تركيزاً. وحاولتُ أن أحجب الأفكار السلبية، وأفكر بشكل إيجابي. وقد كان الغرائب ناعماً كالزجاج، وكنت أدرك أنه لم يعد أمامي إلا فسحة قصيرة من الوقت عندما تنتهي، لن يكون لدي من الطاقة ما يكفي لأخرج من الماء، ومعني "بيتر". وتخبّطُ "بارليت" ما فيه الكفاية إلى أن استطاع الصعود 25 قدماً ليعود مع صديقه "بيتر" إلى الصخرة التي كانا يصطادان من فوقها، ثم صعد "بارليت" إلى 200 قدماً وجرى لاهتاً يطلب سيارة إسعاف لإنقاذ صديقه من جروحه العميقة، وهكذا نجا "بيتر". وأخيراً، وبسبب هذه الشجاعة الفائقة قامت الجمعية الإنسانية الملكية التي ترعاها الملكة إليزابيث بمنح "بارليت" جائزة برونزية.

إذاً، نحن هنا بصدد موضوع "الخوف" الذي اختاره الناشر البرازيلي عنواناً لهذه العشر محاضرات ضمن كتاب "العقل من دون خوف"، وهذه القصة نموذجية حول ماهية "الخوف" الطبيعي واستجابته كما ذكرنا "المواجهة" وليس الهرب. إذاً هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن أمام واقع حدوث "استتارة" ولو كانت على مثال "الساتوري" في بودية الزن، حيث يرى التواق ومضة من الاستتارة الروحية، وأردنا مع تطور حديث كريشنامورتى في متن الكتاب أن نعرض نحو مفهوم الاستتارة المباركة، وفي

الوقت نفسه أيدينا التفسير لهذه اللحظة التي يتجاوز فيها العقل نفسه بأبيات شعر الحسن بن منصور الحلاج.

أعود إلى موضوع الخوف الذي يعرضه كريشنامورتى في محاضراته بعنوان "فهم الخوف" وهي المحاضرة الخامسة حيث يشدد كريشنامورتى على فهم الخوف إذا أردنا أن نحب فعلاً، فالحب كما أشرت في بداية المقدمة أنه كلاًئياً الوجود، والحياة من دون حب لن يكون هناك فعل خلاق في حياتنا.

من جهة يشير كريشنامورتى إلى جذر الخوف بسبب المقارنة التي يقوم بها المرء مع الآخرين، وفي التراكض كي يكون الواحد منا أحداً ما، ومن جهة أخرى، فالخوف ينشأ بسبب "الأنا" الذي يفصل الراصد عن المرصود، وحين تختفي الحدود، وينتهي الانقسام بين الراصد والمرصود أي زال سبب هذا الانقسام مع فهم سيرورة الأنا والفكر والزمن، إذ أن تتم معاشة واقع الخوف، وإطلاقه، وتحرير العقل منه. ومع إنهاء سيرورة "الأنا" بأرائه وأفكاره وأحكامه وتسويغاته وتقييماته ومعارفه وذاكراته يكون ذلك كله غائباً، وإذ أن يكون هناك الوعي، ووعي واقع الخوف، والتحرر منه. إذ أن مع غياب الفكر الذي سبق وقلنا إنه "زمن"، نكون أمام الواقع وجهاً لوجه. فالخوف إذ أن طبيعى وضروري في الحالة الطبيعية كي يحمينا من الأذى الطبيعي. ولكننا هنا بصدد الخوف السيكولوجي، وإنهاؤه من خلال استئصال جذر الأنا، فـ"الأنا" يحدث الانقسام بين الراصد والمرصود، بين الأنا والآخر... الخ. وهكذا ينشأ الخوف فضلاً عن البحث عن الشعور بالأمان السيكولوجي الناجم عن الأنا المنفصل عن الطبيعة أيضاً.

وعلى هذا، فالحرية الأولى والأخيرة، تكمن في اللحظة الحاضرة لأن الخوف يكمن دائماً في المستقبل أو في الماضي. والحاضر هو مفتاح

الوعي والحرية وشجاعة الفعل الخلاق العفوي.

إذاً، يقول كريشنامورتي: "كي نكتشف الحقيقي، لا يجب على العقل أن يخشى شيئاً، وبتحرره من الخوف يكون بريئاً بالكامل، وفي هذه البراءة يأتي الفعل الخلاق". ومن هنا نعود إلى كلاًئيه الحياة، الفعل من دون مجهود "الحب" غير المشروط، واللازمي لكل شيء.

إذاً يركّز كريشنامورتي على قطبين يتفاعلان في النفس البشرية في ما بينهما، هما على شكل قاعدة مثلث يتشكل طرفاً هذه القاعدة من قطبي الرغبة والخوف، وهناك في الأعلى أي في ذروة المثلث وعملياً في الرأس، فالرأس هو الذي يمسك بطرفي القطبين أي بعبارة أخرى الفكر أي الذاكرة أو الزمن، فالفكر هو حركة الزمن فينا. وأستطيع أن أجازف بالقول بأن "الفكر" هو الذي ينظم ويخلق النمط فينا من خلال استجابة الذاكرة للتحدي. وأستطيع القول إن الخوف في حقيقة أمره هو الشكل الآخر للرغبة أو إن شئتم الوجه الآخر للرغبة. وبعبارة أخرى، هو الرغبة التي تتطوي وتلتف حولها الطاقة وترفض مغادرتها. إنه الرغبة بذاتي أنا، إنه انحباس للطاقة في محور الذات أي الأنا، أي الرغبة بالحفاظ عليها والإبقاء عليها بعيداً عن كل أذية محتملة أو أي مجهول كما سبق ونوه حكيمنا كريشنامورتي، وكلما بقيت الطاقة مجمدة أي أسيره عندها كلما أصبح المرء عصابياً، وهنا يصح ما قاله أحد الحكماء بأن العصابي هو الأناني بامتياز. وكان على حق عالم النفس فرويد حين قال إن العصاب هو صراع بين رغبة تريد التحقق وبين رغبة مضادة لها تمنعها من التحقق. وربما الحالة المثلى التي نستطيع استنتاجها من خلال أحاديث كريشنامورتي تكمن في تحرير الطاقة من مثلث الرغبة والخوف والفكر، وبعبارة أخرى كسر النمط الذي يولّد العصاب، وهكذا فعندما تتحرر الطاقة من هذا السجن المثلث، تفتح نحو الحب الذي

ليس هو رغبة وبالتالي ليس هو خوف، وإنما حرية الانطلاق في المغامرة نحو المجهول، وهذا المجهول هو الموت، والموت حسب كريشنا مورتى هو الانفكاك عن كل ارتباط.

أخيراً وليس آخراً، فلنسمع جوزيف كامبل ماذا يقول: "هناك قصة رائعة عن الربوبية، عن النفس، التي قالت "أنا أكون" ومنذ أن قالت "أنا أكون" أصبحت خائفة. فلقد كانت وجوداً في الزمن" - في عرف كريشنا مورتى الفكر هو الزمن -، وهذا يصح إذا تابعنا قصة كامبل فهنا تبدأ صيرورة الفكر: "من أي شيء علي أن أخاف؟ أنا الشيء الوحيد الذي يوجد". وحالما قالت النفس ذلك شعرت بالوحشة وأرادت أن يكون هنالك كائن آخر. وهكذا أحست بالرغبة. لقد انتفخت وانقسمت إلى اثنين. ذكر وأنثى ثم أنجبت العالم. وهكذا كما لو أن الرغبة انبثقت من الخوف، والخوف انبثق من الرغبة. فهما قطبان يتفاعلا وينجبان العالم، فالخوف هو القطب السلبي والرغبة هي القطب الإيجابي، وهما وجهان لحقيقة واحدة يقف وراءها الفكر أي الدخول في حقل الزمن.

❖ المترجم

المراجع:

- (1) كتاب "فن الحياة" تأليف: كريشنامورتي. ترجمة: نبيل سلامة. عن دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- (2) كتاب "شبكة الفكر" تأليف: كريشنامورتي. ترجمة: يارا البرازي. عن دار معابر للنشر والتوزيع.
- (3) كتاب "الحرية الأولى والأخيرة" تأليف: كريشنامورتي. ترجمة: أسامة أسبر. عن دار بدايات للنشر والترجمة والتوزيع.
- (4) كتاب "النضج" تأليف: أوشو. ترجمة: رياض خليل حسن. شركة المطبوعات والتوزيع. ومجموعة كتب أخرى لأوشو. ترجمة: متيم الضايغ وإصدار دار الحوار في اللاذقية - سورية.
- (5) كتاب "ترويض الفكر" تأليف: بيت كوهين. ترجمة: مكتبة جرير. عن مكتبة جرير للنشر والتوزيع.
- (6) كتاب "قوة الأسطورة" تأليف: جوزيف كامبل. ترجمة: حسن صقر. وميساء صقر. عن دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- (7) ديوان "الحلاج" يليه كتاب الطواسين. منشورات الجمل.

الفصل الأول ما هو التعلم

أرغب في هذا الصباح، أن أبدأ بلفت الانتباه إلى الأهمية الفائقة العادة للحرية. وعموماً، نحن نرغب بأن نكون متحررين. لدينا عائلاتنا، ومسؤولياتنا، وواجباتنا، وهنا نتوقف. فنرى أنفسنا مكبوتين بسبب القوانين الاجتماعية، وبسبب مجموعة قوانين أخلاقية محددة، بالإضافة إلى اتخاذنا على عاتقنا محننا، ومشاكلنا اليومية، وعندما نعثر على نوع ما من التسلية، وسيلة ما للهرب من كل هذا الصراع والغم، ونُشبع أنفسنا بسهولة. وبالْحَقِيقَة لا يرغب أحد منا تقريباً في أن يكون حراً على أي مستوى، أو في أي عمق كان، رغم أنه يبدو لي أن واحداً من الأشياء الأكثر أهمية في الحياة يكمن في الاكتشاف بأنفسنا، كيف سيكون بإمكاننا أن نتحرر كلياً وبشكل تام. والعقل الإنساني المشروط على نحو قوي جداً، والمحجوز في أعماله اليومية، والمملوء جداً بالمخاوف، والهموم، وغير متيقن البتة في ما يتعلق بالمستقبل، وتطلبه

المتواصل للشعور بالأمان، هل يستطيع عقل كهذا أن يحدث في ذاته نفسها تغيراً جذرياً قابلاً للتحقيق فقط في حرية تامة؟
والحق يُقال، إنها لمشكلة ينبغي على كل واحد منا أن يهتم بها على الأقل خلال هذه الأسابيع الثلاثة من مكوثنا هنا. والأمر يتعلق باهتمامكم بما أقول، بل أن نكون قادرين من خلال التحليل اللفظي، كثيري التعمّن، على النفاذ عميقاً في دواخلنا، وأن نكتشف فيما إذا كان هناك إمكانية ما في أن نكون متحررين. من دون حرية لا يمكننا اكتشاف ما هو حقيقي، وما هو زائف. ومن دون حرية تفتقد الحياة للعمق، ومن دون حرية، فإننا نقع تحت تأثيرات من كل نوع، والاضغوطات الاجتماعية، والضرورات الملحة التي لا تُعدّ ولا تُحصى، والتي تواجهنا بشكل متواصل.

بناءً على ذلك، هل تستطيعون كأفراد أن تتفحصوا على نحوٍ تتفدون فيه ومن دون شفقة على الذات، لكي تكتشفوا فيما إذا كان ثمة إمكانية ما لكل واحد منا أن يكون حراً؟

وبالمناسبة، في الحرية فقط يمكن تواجد تغير. وعلينا أن نتغير، ولكن ليس على مستوى سطحي، بتغييرات طفيفة هنا وهناك، علينا أن نُحدث تحولاً جذرياً لبنية عقلنا الخاصة. ولذلك أشعر أنه لأمر هام جداً أن نتكلم عن التغيير، وأن نتناقش عنه، كي نرى حتى أي نقطة سوف نستطيع النفاذ ضمن هذه المشكلة.

هل تعلمون ما أفهمه من كلمة "تغيير"؟ إن "التغيير" هو التفكير بطريقة مختلفة كلياً، وتكمن في إتاحة الفرصة كي تولد حالة روحية حرة من القلق في أي لحظة، ومن دون الشعور بالصراع، ومن دون صراع للتوصل إلى شيء ما لكي نكون أو نصير شيئاً ما. وبعبارة أخرى، نكون مجردين من الشعور بالخوف كاملاً. وكي نكتشف ما يعني أن يكون المرء حراً من

الخوف، أظن أنه من الضرورة بمكان أن يتم فهم مسألة "المرشد والتلميذ"، وهكذا يفهم ما هو "تعلم". وههنا ليس ثمة أي مرشد، ولا أي أحد يجري تعليمه. جميعنا نتعلم. وبالنتيجة، عليكم أن تبقوا متحررين بالكامل من فكرة أن أحداً سوف يُعَدُّكم أو يُؤهلُكم للقيام بما يناسبكم، وما أشير إليه فهو أمر مختلف كاملاً بينكم وبين هذا المحاضر. نحن في صدد التعلم، وليس أننا قد تعلمنا. وفي حال، فاهتمت فعلاً أنكم لستم هنا من أجل أن تتعلموا من قبل أحد ما، ذلك أنه ما من أي معلم لكي يعلمكم، وما من أي مخلص لكي يخلصكم، ولا أي غورو (guru) معلم (هندوسي يوغني) لكي يوعز لكم ما يجب أن تقوموا به. إذا ما فهمتم فعلاً هذا الواقع، فسيترتب عليكم أن تفعلوا كل شيء بأنفسكم، ولعمري أنه أمر يتطلب طاقة فائقة للعادة.

تتبدد الطاقة، ويجري انحطاطها، ويتم فقدانها كلياً لما تترسخ العلاقة بين المعلم والتلميذ، إذاً، أثناء هذه المحاضرات، وفي النقاشات المتوالية، أمل ألا تُستخدم أي فكرة تشير إلى هذه العلاقة. وسيكون أمر رائع إذا ما استطعتم إلغائها كلياً، متيحين الفرصة لوجود حركة التعلم فقط.

عموماً، نتعلم من خلال الدراسة، وبواسطة الكتب، وعبر التجربة، أو عن طريق تعليم موجه من قبل آخر. وهذه هي الطرق الاعتيادية للتعلم. نتعلم عبر الذاكرة ما يجب علينا القيام به، وما لا يتوجب علينا أن نفعله. وما ينبغي علينا التفكير فيه، وما لا يجب أن نفكر فيه، وكيف يتوجب علينا أن نشعر وأن نتفاعل. ومن خلال التجربة، ومن خلال الدراسة والتحليل والسبر، ومن خلال التفحص الاستبطاني، فإننا نخزن معارفاً على هيئة ذاكرة، وفيما بعد، "تستجيب" الذاكرة على "التحديات" اللاحقة، والضرورات الملحة، الأمر الذي ينجم عنه معارفاً ومعارفاً أكثر. إن سياقاً كهذا مألوف جداً لنا، ذلك أنه الطريقة الوحيدة التي

نتعلم من خلالها . وإذا لم أكن أعلم قيادة طائرة، فإنني أتعلم فعل ذلك . أتلقى التدريب الضروري، وأكتسب التجربة، وتُحفظ في الذاكرة، وفي النهاية أستطيع الطيران. وهذا هو سياق التعلم الوحيد المؤلف بالنسبة لنا . نتعلم من خلال الدراسة، والتجربة، والتدريب. وما يتم تعلمه يوثق به للذاكرة على هيئة معرفة، وتفعل هذه المعرفة حالما يبرز "تحدياً" أو في المرات كلها أنى ينبغي علينا أن نفعل شيئاً ما .

والحال هذه، أظن أن هناك طريقة للتعلم مختلفة بالكامل، وحول هذا الموضوع سوف أقول بضعة كلمات. ولكن، كي تستطيعوا أن تفهموا هذه الطريقة، وأن تتعلموا من خلالها، يتوجب عليكم أن تكونوا متحررين كلياً من السلطة، وإلا، على العكس، فسوف تتعلمون فقط، وسوف تكرر فقط ما قد سمعتموه. هاك لماذا لا يهم كثيراً أن تفهموا طبيعة السلطة. فالسلطة هي عائق أمام التعلم، وعند التعلم، الأمر الذي ليس هو تراكم معارف على شكل ذاكرة. الذاكرة تستجيب دوماً من خلال نماذج، ولا يوجد في ذلك أي حرية. والإنسان المُحمَل بالمعارف، والتعليم فهو منحني تحت عبء الأشياء التي تعلمها، وهو ليس حراً على الإطلاق. لربما يكون إنسان علامة على درجة عالية، ولكن مراكمته للمعارف تمنعه من أن يكون حراً، وبالنتيجة فهو عاجز عن التعلم.

نُراكم عدة أشكال من المعارف، العلمية، والفيزيولوجية، والتقنية، ومعارف كهذه ضرورية لهناءة الإنسان. ولكننا نُراكم أيضاً معارفاً لأننا نريد أن نكون في شعور بالأمان، ولأننا نريد أن نفعل من دون تشويه، ولأننا نريد التحرك ضمن حدود معارفنا لكي نشعر دائماً بالأمان. ولا نرغب إطلاقاً أن نكون في حالة من اللايقين - نعاني ذعراً من انعدام اليقين - وبالتالي، نُراكم معارفاً . وهذه هي المراكمة السيكلوجية التي أريد أن أتطرق إليها، لأنها هي التي تحرمنا من الحرية كاملاً.

على هذا النحو، في اللحظة التي نبدأ فيها بالتساؤل، ما هي الحرية، فمن الضرورة بمكان أن ننكر ليس السلطة فحسب، بل المعرفة أيضاً. وإذا ما كنتم مجرد مُمنهجين، وإذا ما كنتم مجرد مُراكمين لما سمعتموه، وما قرأتموه، وما اختبرتموه، فمن تكونوا متحررين على الإطلاق، لطالما أنكم ستفعلون دائماً ضمن نموذج المعلوم. وهذا فعلاً ما يحدث لنا بشكل عام. وبناء عليه، ماذا علينا أن نفعل؟

يُعرف كيف يفعل العقل والمخ. المخ هو شيء ينتمي للطبيعة الحيوانية، سريع التأثير للتقدم والتطور، يحيا ويفعل ضمن جدران تجربته الخاصة، حيث معرفته وآماله ومخاوفه. وهو ناشط بشكل دائم بهدف الحفاظ على نفسه، وحماية ذاته، وحتى مرحلة ما، لا بد له أن يفعل على هذا النحو، وإلا على العكس فسوف يجري تدميره عاجلاً، فهو يحتاج إلى الشعور بالأمان حتى درجة ما، ومن هنا يتمسك بعادة المراكمة لفائدته، وكل نوع من المعارف، وطاعة كل صنف من التعليم، موجداً نموذجاً يقوِّب عيشه على نحو لا يكون فيه حراً إطلاقاً. ومن يشاء أن يرصد مَخَّهُ خاصته، فسيكون فعله الكلي لذاته نفسها واعياً جداً لهذه الطريقة من الوجود "المُنعدجة" حيث نفتقد إلى كل عفوية.

ما هو إذاً التعلم؟ هل توجد طريقة ما مختلفة عن التعلم، تعلم لا تراكمياً، ولا يصبح مجرد قاع للذاكرة أو المعرفة، موجداً لنماذج وعقبات أمام الحرية؟ هل توجد نوعية ما لتعلم لا يتحول إلى عبء، ولا يعيق العقل، بل على العكس، يمنحه حرية؟ إذا ما تساءلتم ذات مرة، ليس على نحو سطحي، وإنما بعمق، فيتوجب عليكم أن تعرفوا أنه ضروري الاستقصاء لأن العقل يتعلق بالسلطة. سواء كانت سلطة المرشد، أو المخلص، أو الكتاب، وسواء كانت سلطة معرفتنا وتجربتنا الخاصة، ولأجل أي سبب يتعلق العقل بالسلطة؟

تتخذ السلطة أشكالاً متنوعة. ثمة سلطة الكتب، وهناك سلطة الكنييسة، وسلطة المثل الأعلى، وسلطة تجربتكم نفسها، وسلطة المعرفة التي تراكمت. لعلكم متعلقون بهذه السلطات كلها؟ تقنياً، ثمة حاجة للسلطات، وهذا أمر واضح وبسيط. ولكننا في صدد الكلام عن الحالة السيكولوجية للشخص، وبتحيتها جانباً السلطة التقنية، فلأي سبب يتعلق العقل بالسلطة بالمعنى السيكولوجي؟

يتعلق بالسلطة بشكل واضح لأنه يخشى اللايقين، وانعدام الشعور بالأمان، ويخشى المجهول، وما يمكن أن يحدث غداً. وهل نستطيع أن نعيش من دون سلطة ما من أي نوع كانت - السلطة بمعنى الهيمنة، والعجرفة، والعقائدية، والعدوانية، والرغبة بالنجاح، والشهرة، والرغبة في أن يصير المرء أحداً ما؟ هل نستطيع أن نعيش في هذا العالم، مترددين على المكتب، وعلى أمكنة أخرى أكثر، في حالة من التواضع التام؟ ألا تظنون أنه من الصعوبة بمكان أن تتحقق هذه الحالة؟ لكنني أظن أنه فقط في هذه الحالة من التواضع التام، الأمر الذي هو حالة العقل الذي يكون مهياً دائماً لتعلم ما لا يعلم، وفقط في هذه الحالة ثمة إمكانية للتعلم. وإلا فإننا سنبقى على الدوام نراكم، وبالتالي نكف عن التعلم.

إذاً هل يستطيع المرء أن يحيا من يوم إلى يوم في هذه الحالة؟ هل تفهمون ما أرمي إليه؟ ومن المؤكد أن الشخص الذي يتعلم حقاً، لا يتعرف على أي سلطة، ولا يسعى إلى أي سلطة. ويجد نفسه في "حالة تعلم" متواصلة، ليس فقط للأمور الخارجية، وإنما أيضاً للأمور الداخلية، ولا ينتمي إلى أي فئة، ولا أي مجتمع، ولا أي عرق أو ثقافة. وعندما يكون في تعلم على نحو متواصل للأشياء كلها، دون أن يراكم أي شيء، كيف إذاً يمكن أن تتواجد سلطة أو معلم؟ وكيف يمكن أتباع أحد

ما؟ وهذه هي الطريقة الوحيدة للعيش، وأن نتعلم لا من الكتب، وإنما من أشواقكم ذاتها، ومن حركات فكركم نفسه، ومن وجودكم الخاص. وإذا كان يكون العقل حديث العهد على الدوام، وينظر للأشياء كلها بطريقة جديدة، ليس بعينين متعبتين من المعرفة والتجربة. أن نفهم ذلك حقاً، وبعمق، تنطفئ السلطة كلها، وإذا كان فهذا الذي يكلمكم ما من أي أهمية له.

الحالة الفائقة للعادة التي تُظهرها الحقيقة، واتساع الحقيقة، لا يمكن أن تُمنح من خلال الغير. ليس ثمة سلطة، وليس ثمة مرشد. عليكم أنتم أنفسكم أن تكتشفوها، وعلى هذا، تضيفون معنى ما لهذا الشواش الذي ندعوه "حياتنا".

إنها مسيرة يجب القيام بها وحيدين بالكامل، ومن دون رفاق، ومن دون زوجة أو زوج، ومن دون كتب. فقط تستطيعون الشروع في هذه المسيرة بعد أن تدركوا بوضوح الحقيقة التي يتعين على المرء الرحيل وحيداً بالكامل من أجل اكتشافها، ولا يمكن إدراكها إلا وحيداً فقط، ليس من خلال الغضب، ولا التشاؤم، ولا اليأس، وإنما برؤيتكم الواقع أنه ضروري بالمطلق أن يسير المرء وحيداً لأنه لا يمكن اكتشافها إلا وحيداً، ومن أجل إدراك هذا الواقع يبقى علينا أن نكون متحررين لكي نرحل وحيدين. الكتاب، والمخلص، والمرشد، أنتم أنفسكم هؤلاء كلهم. يتوجب إذاً أن تتقصوا، وتتعلموا عما يتعلق بكم، الأمر الذي لا يعني مراكمة معارف عنكم، من أجل أن ترصدوا من خلال هذه المعارف حركات تفكيركم خاصتكم. هل تفهمون ما أرمي إليه؟

من أجل هذا التعلم، وكما تعرفوا أنفسكم، يجب عليكم أن ترصدوا ذاتكم في "حالة متجددة" من الحرية. ولا شيء يمكنه تعليمكم حول أنفسكم من خلال مجرد تطبيق للمعارف، أي أن ترصدوا أنفسكم

بالمعارف المكتسبة من مرشد ما، ومن كتاب ما، أو حتى من تجربتكم نفسها الـ"أنتم" وهي كينونة فائقة للعادة، شيء بالغ التعقيد، وحيوي، وحي بشدة، وفي تحول متواصل، وفي المرور من خلال تجارب من كل نوع. إنها دَوَّارة غير عادية من الطاقة، ولا أحداً يمكنه تعليمكم حولها، لا أحداً! هذا هو أول شيء يجب فهمه. وذات مرة تُفهم، وتُدرك حقيقتك، فأنت تكون حرّاً من العبء الثقيل: كفّوا عن الاعتماد على الآخرين لكي يقولوا لكم ما يجب عليكم أن تفعلوه. إذاً، بادئ ذي بدي هي الحرية بعطرها اللا موصوف.

وهكذا، لا بد أن أعرف نفسي، لأنه من دون معرفة نفسي ذاتها لن تكون هناك نهاية للصراع إطلاقاً، ولن تكون هناك نهاية للخوف، واليأس البتة، ولن يتواجد فهم للموت على الإطلاق. وحينما أفهم نفسي، فإنني أفهم الكائنات الإنسانية كلها، والعلاقات الإنسانية كلها، والعلاقات الإنسانية في كلاًّ نيتها. أن أفهم نفسي ذاتها يعني أن أتعلم حول ما يتعلق بالجسد المادي، وارتجاعاته (ردود أفعاله) العصبية المتعددة، ويعني أن أكون واعياً لكل حركة فكري، ويعني أن أفهم ذلك الشيء الذي ندعوه "الغيرة"، و"العنف"، ويعني اكتشاف ما هو الحنان والحب. يعني أن أفهم ذلك الذي يشكل "الأنا"، والـ"أنت" في كلاً.

لا يعني التعلّم ترسيخ قاعدة من المعارف. فالتعلم الذي نتكلم عنه يحصل في كل لحظة. إنه حركة حيث ترصدون على نحو لا نهائي من دون إدانة أبدأ، ومن دون حكم إطلاقاً، ومن دون تقييم البتة، ولكن أن ترصدوا فحسب وعلى الدوام. وفي اللحظة التي تدينون فيها، تسوِّغون أو تقيّمون، ينشأ إذاك نموذج من المعرفة والتجربة، وهذا النموذج يعيقكم عن التعلم.

ومن دون أن تتعلموا لن يكون ممكن إجراء تغيير في جذر العقل نفسه،

وهذا التحول، وهذا التغيير ضروري. وأنا لا أستخدم كلمة "تغيير" بمعنى التأثير بالمجتمع، وبالوسط المحيط، وبالتجربة، أو من خلال أي صنف من الضغط. الضغوطات والتأثيرات يمكنها أن تدفعكم فقط إلى وجهة معينة. أشير إلى التغيير الذي يفعل من دون أي مجهود، ونتيجة لفهمكم لأنفسكم ذاتها، وبدون أدنى شك، ثمة اختلاف كبير بين الشيثين: بين التغيير الحاصل إزاء الإلزام (القهر)، والتغيير الذي يأتي عفويًا وطبيعيًا وبحرية.

طبعاً، إذا كنتم مهتمين بجدية - ويبدو لي أنه سيكون سخفاً بمقدار كبير فيما إذا قمتم برحلة طويلة جداً، لكي تحضروا هذه المحاضرات، وسط هذا الحر، ومعرضين أنفسكم إلى إزعاجات كثيرة من دون أن تكونوا مهتمين بجدية - إذاً، هذه الأسابيع الثلاثة التي سوف تمضونها هنا، سنقدم لكم فرصة ممتازة للتعلم، وللالتزام برصد حقيقي، ويتقصد عميق. لأنني يا سادتي، واع جداً لحياتكم السطحية جداً. نعرف، وقد اخترنا أشياء كثيرة، ونحن قادرون على التكلم بدقة عالية، ولكن في الحقيقة، ليس لدينا أي عمق. إننا نحيا على السطح، وبعيشنا على السطح فإننا نجهد أنفسنا لكي نجعل هذا العيش السطحي جدياً جداً. ولكنني أشير إلى جدية لا تتحصر عند مجرد مستوى سطحي، وإنما جدية تنفذ إلى الأعماق الأخيرة لوجودكم خاصتكم. معظمنا لسنا متحررين بالحقيقة، وبالنسبة لي، ما لم نكن متحررين من همومنا، وعاداتنا، ومن عيوبنا النفسبدينية (نفسية بدنية)، ومتحررين من الخوف. فتستمر حياتنا سطحية بشكل هائل، وخالية من كل معنى. وضمن هذا الوضع سوف نبلغ الشيخوخة ونموت.

إذاً، على امتداد هذه الأسابيع الثلاثة، سوف نعمل على التحقق فيما إذا كنا نستطيع تحطيم جدران هذا الوجود السطحي التي شيدناها

بحرص شديد، وذلك لكي ننفذ إلى شيء أكثر عمقاً بكثير. وهذا السياق من النفاذ لا يتعلق بأية سلطة، ولا يتعلق بأن يجري إرشادنا من خلال آخر، حول كيفية قيامنا بذلك، لأنه لا أحداً سوف يستطيع تعليمنا. وما يترتب علينا هنا أن نفعله يكمن في أن نتعلم سوية أنه ثمة حقيقة في كل شيء سوف نتحصه، وذات مرة يفهم فيها الحقيقي، سوف تنتهي التبعية كلها للسلطة. ولن نحتاج إذاً إلى أي كتاب، ولن نحتاج للذهاب إلى الكنيسة، أو إلى المعبد، ولستم بعد الآن تابعين لأحد. وفي الحرية ثمة جمال هائل، وعمق كبير، وحب عظيم، نجهله كاملاً لأننا لم نتحرر بعد. ولذلك يجب علينا أولاً أن نهتم على ما يبدو لي في تقصّي هذه الحرية، ليس بواسطة التحليل اللفظي كثير التفكير، بل أيضاً على نحو مستقل عن الكلمة.

هنا الحر شديد، ولكن يجب القول إننا فعلنا كل ما هو ممكن لكي نجعل هذه الخيمة باردة في داخلها على قدر ما نستطيع. ولا يمكننا القيام بهذه الاجتماعات باكراً، لأن ثمة كثيرين يأتون من بعيد، وعلى هذا، لا خيار أمامنا إلا مواجهة هذا الحر كجزء من الإزعاجات التي ليس بمقدورنا تجنبها.

كما تعلمون، ثمة حاجة لكي ننضبط، لا أقصد نظاماً صارماً، وإنما فهم متكاملاً لمسألة الانضباط، أي أن نتعلم ما هو الانضباط. لناخذ بعين الاعتبار، وعلى سبيل المثال، هذا الأمر الحالي: الحر. بوسعنا الشعور بالحر الذي يحيط بنا، من دون أن ندعه يزعجنا، وبرؤية ما هو اهتمامنا، وما نتقصى إياه، الأمر الذي يشكل حركة التعلم نفسها، وهي أهم بكثير من الحر، وانزعاج الجسد. إذاً، يقتضي التعلم انضباطاً، وفعل التعلم ذاته يكمن في الانضباط، وبالنتيجة، ليست ثمة حاجة لكي نفرض على أنفسنا انضباطاً ما، ولا أي سيطرة مصطنعة. أي أنني أريد

الإصغاء، ليس فقط لما يُقال، بل أيضاً للارتجاعات (ردود الأفعال) كلها التي تُسبب بها الكلمات في الذات نفسها. وأريد أن أعني كل فكر، وكل حركة. وهذا في حد ذاته عبارة عن انضباط. وإن انضباطاً كهذا يكون مرناً إلى أقصى حد.

وهكذا، أفكر أن أول شيء يجب اكتشافه يكمن في الكيفية التي يعيش فيها كائن إنساني ضمن "ثقافة" مُحدّدة، أو جماعة، فعلاً تحتاجون للحرية بقدر ما تحتاجون للغذاء، وللإشباع الجنسي، وللراحة، وحتى أين، وحتى أي عمق أنتم مهيوون للوصول إليه من أجل أن تتحرروا. أظن أن هذا فقط ما نستطيع أن نفعله في هذه المحاضرة الأولى، أو من الأفضل القول إنه الشيء الوحيد الذي بوسعنا فعله خلال هذه الأسابيع الثلاثة، أن نرى الشيء الوحيد الذي نقدر القيام به عموماً، فقط هذا الشيء - الانضباط - ولا شيئاً آخر. هل تفهمون ما أرمي إليه؟ لأن كل شيء آخر يصبح مجرد عاطفية، وتقوى، وانفعالية، وهذه أشياء صبيانية جداً. ولكن إذا ما كنتُ أنا وأنتم سوية نبحت، ونتقصي، ونتعلم ما يعني أن يكون المرء حراً، وإذناك فقي هذه الوفرة سوف نستطيع جميعنا أن نتشارك.

وكما قلت منذ البداية، وهنا ليس ثمة مرشد، ولا تلميذاً. كل واحد منا هو في سياق تعلم، ولكن ليس بخصوص الغير. أنتم لا تتعلمون بخصوص المحاضر، أو بخصوص رفيقكم الجالس إلى جانبكم. إنما تتعلمون حول أنفسكم ذاتها. وإذا ما كنتم تتعلمون حول أنفسكم ذاتها، فسوف تكونون إذاك المحاضر، ورفيقكم إلى جانبكم، وتكونون قادرين على أن تحبوا قريبيكم، وإلا فلن تستطيعوا أن تحبوه، وكل شيء يُقال فسوف يبقى مجرد كلمات. لن تستطيعوا أن تحبوا القريب إذا كنتم بروح تنافسية. وبنيتنا الاجتماعية كلها، والاقتصادية، والسياسية،

والأخلاقية، والدينية... تتأسس على التنافس، وفي الوقت نفسه، نقول إنه يتوجب علينا أن نحب القريب. وهذا أمر مستحيل، وحين نرى حيث ثمة تنافس فلا يمكن أن يتواجد حب.

لذلك، فمن أجل أن نفهم ما هو الحب، وما هي الحقيقة، نحتاج للتجربة، وهذه الأخيرة، لا أحداً بوسعه منحنا إياها. عليكم أن تعثروا عليها وحدكم، بعمل دؤوب.

12/تموز/1964

الفصل الثاني العقل الحر

منذ بضعة أيام، في اجتماعنا هنا، كنا نتكلم عن حاجتنا للحرية، وبهذه الكلمة "حرية"، أنا لا أشير إلى الحرية الجزئية والسطحية على عدة مستويات من وعينا. كنا نتكلم عن الحاجة في أن يكون المرء حراً على نحو كلي، حراً في جذور العقل نفسه، وفي نشاطاتنا المادية كلها، والسيكولوجية والباراسيكولوجية. تفترض الحرية غياباً كلياً للمشاكل. ألا تعتقدون ذلك؟ لأنه عندما يكون العقل حراً، يمكنه أن يرصد ويتحرك بصفاء تام. ويستطيع أن يكون ما يكون من دون وعي لأي موروث. وبالنسبة لي، فإن حياة من المشاكل الاقتصادية، أو الاجتماعية، خاصة أو عامة، تهدم وتُفسد الوعي. ويحتاج الأمر إلى عقل ينظر بوضوح جداً إلى كل مشكلة تظهر، وإلى عقل قادر على التفكير من دون تشويش، ومن دون إشراف، عقل يتمتع بالحنان والحب لا علاقة لهما لا من قريب ولا من بعيد بالانفعالية أو العاطفية.

وكي نعثر على هذه الحالة من الحرية التي يُصعب فهمها، وتتطلب تفحصاً جداً، وتحتاج إلى عقل غير مشوش، عقل ساكن، عقل يفعل بالكامل، ليس فقط على السطح، وإنما أيضاً في المركز. وهذه الحرية

ليست تجريداً، ولا مثلاً. وحركة العقل الحر هي حقيقة، وما من أدنى علاقة معها، لا بالمثاليات، ولا بالتجريدات. وتحصل هذه الحرية على نحوٍ طبيعي، وبشكل عفوي - ومن دون أي نوع من الإجبار، والانضباط، والسيطرة أو الإقناع - حينما نفهم بشكل متكامل كيف تظهر وتنتهي المشاكل. فالعقل مع مشكلة يكون مشوشاً، ويعثر على وسائل للهروب من هذه المشكلة، ويستمر بكونه عقلاً مثبّطاً، ومقيداً، وليس حراً. وبالنسبة لعقل لا يحل كل مشكلة تظهر على أي مستوى كان - مادي، سيكولوجي، انفعالي - لا يمكنه أن يحصل على الحرية، وبالنتيجة، ليس ثمة صفاء تفكير، ولا رؤية، ولا إدراك.

تعاني معظم الكائنات الإنسانية من المشاكل. وما أفهمه من كلمة "مشكلة" تشويشاً جانحاً تسببت به "استجابة" غير لائقة لتحدٍ، أي سبب العجز عن تلبية متطلبات الحياة بكل وجودنا، أو بسبب اللامبالاة التي تؤدي إلى استعداد اعتيادي للقبول وتحمل المشاكل. وثمة مشكلة كل مرة نكفُ فيها عن مواجهة وتفحص وضع ما حتى عواقبه الأخيرة. لا يمكن أن نترك ذلك للغد أو لتاريخ ما مستقبلي، ذلك أن كل وضع يجب أن تتم مواجهته حالما يظهر، وعلى الفور، وفي كل دقيقة، وكل ساعة، وكل يوم. وكل مشكلة على أي مستوى كان - واعٍ أو غير واعٍ - هي عامل يدمر الحرية. المشكلة هي كل ذلك الذي لا نفهمه كلياً. إن مشكلة أي واحد منا يمكن أن يكون الألم، والإزعاج الجسماني، وموت أحد ما، أو عدم وجود المال الكافي، ويمكن أن يكون العجز عن اكتشافنا بأنفسنا إذا ما كان الله حقيقة أو مجرد كلمة من دون أي أساس. وهناك المشاكل المتعلقة بالعلاقات الخاصة والعامة والفردية والجمعية. وعدم فهم العلاقات الإنسانية في كلها يولد المشاكل، ونكاد جميعاً نعاني مشاكل (تسبب أمراضاً سيكوسوماتية - نفسبدنية) تضعف لنا العقل والقلب.

وبهذه الحمولة من المشاكل نستنجد من خلال عدة وسائل للهروب،
فنتعبد للدولة، ونقبل السلطة، ونلجأ إلى أحد لكي يحل مشاكلنا، ونطلق
تكراراً لصلوات وطقوس عديمة الجدوى، ونستسلم للمشروب، وللملذات
الجنسية، وللبغضاء، وللشفقة على الذات، الخ.

لقد عززنا بحرص شديد كل منظومة للمهارب - عقلانية أو لا
عقلانية، عصبية أو فكرية - الأمر الذي يسمح لنا بالقبول، وبالنتيجة
تحمل ما يظهر من المشاكل الإنسانية كلها. ولكن مشاكل كهذه تُنتج
تشوشاً على نحو لا يمكن تجنبه، وعقلاً لا يصبح حراً على الإطلاق.

والآن، لا أعلم فيما إذا كنتم تشعرون بالطريقة نفسها التي أشعر بها
بخصوص الحاجة - ليست حاجة تجزيئية، حاجة يوم نرى أنفسنا فيه
مُجبرين فجأة على مواجهة وضع ما، بيد أن الحاجة المطلقة (منذ أن
بدأنا بالتأمل في هذه الأشياء، وحتى نهاية الحياة) بالأنا نعاني مشكلة ما.
وعلى الأرجح لن تدركوا كم هي اضطرارية هذه الحاجة. أما إذا
استطعنا أن نرى بكل الوضوح، وعلى نحو ملموس - ليس تجريداً - أن
الحاجة للتحرر من المشاكل لها أمر من الصعوبة بمكان كما لو أنه يتعلق
بالغذاء والهواء النقي. وهكذا، نتحرك بهذا الإدراك سواء على المستوى
السيكولوجي أو في مشاغل الحياة اليومية، وسيكون هذا الإدراك
حاضراً على الدوام في كل ما نفعله، ونفكر به، ونشعر فيه.

وهكذا، فالتحرر من المشاكل هو مسألة أساسية، على الأقل بالنسبة
لهذا الصباح. تكمن الأهمية في الإدراك بأن العقل الذي يعاني صراعاً
هو عقل مدمر، لأنه يتضرر على الدوام. ولا يتعلق الضرر بأي عمر،
فهو يتمظهر عندما يجد العقل نفسه في صراع ويعاني مشاكل كثيرة لا
يجد لها حلاً. فالصراع هو نواة الضرر والانحطاط. لا أعلم إذا ما
أدركتم حقيقة هذا التصريح. وإذا ما أدركتموه، فالمشكلة إذاً هي

كيفية حل الصراع. ولكن، أولاً، لهو ضروري أن يدرك الشخص بنفسه أن العقل الذي يعاني أي نوع من المشاكل على أي مستوى، وفي أي ديمومة كانت، فهو عاجز عن التفكير بوضوح، وعن النظر إلى الأشياء على ما هي عليه، بشكل صارم، ومن دون رحمة، ومن دون عاطفية، ولا شفقة على الذات.

والحال هذه، نعتاد عموماً على الهروب فور ظهور مشكلة، ونجد صعوبة في "أن نبقى مع المشكلة" ونرصدها، من دون تسويغ، أو إدانة، أو مقارنة، ومن دون محاولة تغييرها، أو القيام بشيء ما بخصوصها. وهذا يقتضي انتباهاً تاماً، ولكن بالنسبة لأغلبيتنا، ما من أي مشكلة جدية جداً تستحق انتباهنا كله، وهذا لأننا نتخذ حياة سطحية، وعادة نرضي أنفسنا بحلول سهلة واستجابات جاهزة. نريد أن ننسى المشكلة، ونبعدها عنا، ونعيش مع أي شيء آخر. وفقط حينما تمسنا المشكلة بالعمق، كما في حالة موت، أو عدم توفر مال كاف إطلافاً، أو عندما نرى أنفسنا مهجورين من خلال زوجنا أو زوجتنا، إذاك فقط قد تصبح المشكلة حرجة. ولكننا لا نسمح إطلافاً لأي مشكلة أن تؤدي إلى أزمة حقيقية في حياتنا، ونتمتع يومياً بحداقة كنسها بتفسيرات وكلمات، ومن خلال عدة وسائل دفاع تقوم في خدمتنا.

إننا نعلم ماذا تعني مشكلة. إنها وضع لا نريد تفحصه حتى نتأجه الأخيرة، وفهمه بالكامل، وبالنتيجة، فالحالة لم يتم إنهاؤها، وتظل تتكرر على نحو غير محدود. وكما نفهم مشكلة، نحتاج إلى فهم التناقضات - التناقضات القصوى، وأيضاً التناقضات الدنيئة لكل يوم - من وجودنا نفسه. نفكر بطريقة ونتصرف بأخرى، نقول شيئاً، ونشعر بشيء مختلف جداً. ثمة صراع بين الاحترام وقلة الاحترام، بين الفظاظة واللطف. من جهة الشعور بالعجرفة، والغرور، ومن جهة أخرى نقوم

باستعراض التواضع. تعرفون التناقضات الكثيرة، ويقدر ما هي واعية،
يقدر ما هي خفية. والحال هذه، كيف تظهر هذه التناقضات؟
كما قلتُ مرات متكررة، أطلب منكم أن تصفوا ليس فقط إلى ما
يقوله المحاضر، وإنما أيضاً فكركم نفسه، أن ترصدوا الطريقة التي
تفعل فيها ارتجاعاتكم نفسها، وتكونون واعين لارتجاعكم عند صياغته
ذلك السؤال (كيف تظهر التناقضات؟) حتى تتألفوا مع أنفسكم ذاتها.
وعندما تكون لدينا مشكلة، ونكاد نرغب دائماً أن نعرف طريقة حلها،
وما نفعله بخصوصها، وكيف نتجاوزها، وكيف نتحرر منها، أو ما هو
حلها. لا شيء من هذا يهمننا هنا. ما أريد أن أقوله كيف تتبثق المشكلة،
لأنني إذا ما استطعت اكتشاف جذر مشكلة، وإذا ما استطعت أن أفهمها
من البداية إلى النهاية، فسوف أعثر إذاً على الحل للمشاكل كلها. وفي
حال استطعت النظر بالكامل إلى مشكلة وحيدة فقط، فسوف أكون
إذاً قادراً على فهم أي مشكلة تمثل في المستقبل. إذاً، كيف تظهر
مشكلة، مشكلة سيكولوجية؟ نعتبر ذلك في الدرجة الأولى، ذات مرة أن
المشاكل السيكولوجية تُفسد نشاطات الحياة كلها. وفقط لما يفهم
العقل، ويحل مشكلة سيكولوجية حالما تظهر، ولا ينقل "التسجيل" لهذه
المشكلة إلى الساعة القادمة، أو اليوم التالي، وفقط سيكون إذاً قادراً
على مواجهة القريب "الحال" بقوة متجددة، وبوضوح. حياتنا هي سلسلة
"تحديات"، "استجابات"، ويتوجب أن نكون قادرين على مواجهة كل تحد
بطريقة كاملة، وإلا بالعكس فكل لحظة ستجلب لنا مشاكل جديدة. هل
تفهمون ما أرمي إليه؟ يكمن اهتمامي كله في أن يكون المرء حياً، ولا
يعاني مشاكل بخصوص الله، والجنس، وأي شيء كان. وفي حال أصبح
الله مشكلة بالنسبة لي، يتوجب إذاً ألا أبحث عنه، لأنه، كي يتم
اكتشاف فيما إذا كان هناك إله، كائن مطلق، ولا محدوداً، يجب أن يكون

عقلي صافياً جداً، ونقياً، وحرراً، لا مُنهكاً من خلال أي مشكلة.
لذلك، قلتُ منذ البداية أن الحرية ضرورية. يقولون لي إن كارل
ماركس Karl Marx - رب الشيوعية - قد كتب أن الكائنات الإنسانية
لديهم الحق بالحرية. وبالنسبة لي فالحرية لا غنى عنها - الحرية في
البداية، والحرية في الوسط، والحرية في النهاية - ولا توجد هذه
الحرية عندما "أنقل" مشكلة من يوم إلى آخر. وهذا يعني أنه ليس علي
فقط أن أكتشف كيف تنبثق مشكلة، وإنما أيضاً كيف يكون إلغاؤها على
نحو لا تتكرر فيه المشكلة، ولا يجري نقلها لاحقاً، ولا يُشعر بها أي
حاجة لـ "غد" للتأمل بها، وإيجاد حل لها. وإذا ما "نقلت" المشكلة إلى
اليوم التالي، فأنا أساهم بتجذرها، وفيما بعد فإن استئصال هذه
المشكلة يصبح مشكلة أكثر. وبالنتيجة عليّ أن "أعمل" حالاً وجذرياً من
أجل الإبطال الكامل والنهائي للمشكلة.

أنتم ترون إذاً ما هما النقطتان اللتان علينا أن نتفحصهما، ونكتشف
كيف تنبثق المشكلة (المشكلة المتعلقة بالزوجة والأبناء، ومشكلة عدم
توفر المال الكافي، أو مشكلة الله، أي مشكلة كانت) وأيضاً، كيف
نستطيع استئصالها كلها حالاً.

ما أقوله ليس بغير منطقي. أظهرت لكم الأمر منطقياً، وعقلانياً،
والحاجة لوضع نهاية للمشكلة، وعدم "حملها" إلى اليوم التالي. هل
ترغبون أن توجّهوا لي أسئلة حول الموضوع؟

سؤال: أنا لا أفهم لماذا تقول إن المال لا يمثل مشكلة.

كريشنا مورتى: بالنسبة لكثيرين إنه يشكل مشكلة. أنا لم أقل العكس
مطلقاً. أرجوك، لاحظي أنني ذكرت بأن مشكلة هي كل شيء لم نفهمه
كاملاً، سواءً كان الأمر يتعلق بالمال، أو بالجنس، أو بالله، أو بالعلاقات
مع زوجتنا أو مع أحد نكرهه، لا يهم ما هو الشيء. إذا كنت أعاني

مرضاً، أو شحاً بالمال، فهذا يصبح مشكلة سيكولوجية. أو قد يكون الجنس هو الذي يصبح مشكلة. نحن نتقصى الكيفية التي تنبثق من خلالها المشاكل السيكولوجية، وليس كيف نجد حلاً لمشكلة بشكل خاص.

في الشرق، ثمة أشخاص يتخلون عن العالم، ويقومون بحج من قرية إلى قرية، وهم يستعطون. لقد رسخ البراهمانيون في الهند خلال قرون عادة الاحترام، وتقديم الغذاء والملبس للرجل الذي تخلى عن العالم. ومن الواضح أنه بالنسبة لهذا الإنسان، لا يشكل المال أي مشكلة، ولكنني لست أروج لهذه العادة هنا ببساطة، إنني أشير إلى أن معظمنا يعاني مشاكل سيكولوجية. وليس لديكم فقط مشاكل تتعلق بالمال، بل أيضاً بالجنس، وبالله، وبالعلاقاتكم. أوليس لديكم هموم فيما إذا كنتم محبوبين أو غير محبوبين؟ وإذا كان لدي القليل جداً من المال، فإنني أرغب بالأكثر، وهذا الأمر يصبح مشكلة بشكل طبيعي. لدي هموم ومشاعر قلق في هذا الشأن، أو أنني أصبح حسوداً، لأنه لديكم مال أكثر مني. وهذا كله يفسد الإدراك، وهذه هي المشاكل التي نتخذها بعين الاعتبار. نحن مهتمون في اكتشاف كيفية انبثاق مشكلة من هذه الطبيعة. أظن أنني جعلت هذه النقطة واضحة كفاية أو أنكم ترغبون بالتعمق فيها أكثر؟

والحال هذه، فمن المؤكد أن مشكلة تنبثق عندما يكون هناك في داخلي تناقض. وإذا لم يكن هناك تناقض على أي مستوى، فلن يكون هناك أي مشكلة. وفي حال لم يكن لدي المال الكافي، فسوف أذهب للعمل، أو للتسول، أو استدانته. سأفعل أي شيء، وهذا ليس بالأمر الصعب.

السائلة: ولكن، ماذا يحدث عندما لا يكون بالحيلة فعل أي شيء؟

كريشنا مورتى: تريد القول إنه لا يمكنك أن تفعل شيئاً؟ إن كنت تملكين تقنية ما أو معرفة في مجال ما، فسوف تستطيعين أن تصبحي هذا أو ذاك. وإذا لم يكن بمقدورك أن تفعل شيئاً، فبوسعك أن تحفري الأرض.

السائلة: بعد عمر ما، لا يستطيع المرء أن يقوم بأي عمل.

كريشنا مورتى: بالنسبة لحالات كهذه، ثمة معونة الدولة.

السائلة: لا يا سيدي، ليس ثمة معونة.

كريشنا مورتى: إذاً، فالمرء يموت، وتنتهي المشكلة. ولكن هل هذه

المشكلة خاصتك سيدتي؟

السائلة: ليست مشكلة شخصية.

كريشنا مورتى: إذاً، أنت تشيرين إلى شخص آخر، وعلى هذا النحو

فالأمر لا يهمنا. نحن نتكلم هنا بخصوصكم، ككائن إنساني يعاني

مشاكل، وليس حول أحد الأقارب، أو الأصدقاء.

السائلة: ليس هناك أحد ينظر إليه إلا أنا. كيف أستطيع المجيء إلى

ههنا، وأصفي إليكم، وأتركه من دون أي عناية؟

كريشنا مورتى: إذاً، لا تجيئي.

السائلة: ولكنني أريد المجيء.

كريشنا مورتى: إذاً لا تجعلي من ذلك مشكلة.

سؤال: هل تريد القول إن وضعاً مزعجاً أو محرّجاً، كما على سبيل

المثال، عدم توفر المال الكافي، إننا نستطيع أن نتحمل هذا الوضع؟

كريشنا مورتى: كلا. انظر، لقد اتخذت المبادرة لكي أحل المشكلة.

وأنت تريد أن تعرف كيف نتعامل مع المشكلة. وأنا لم أصل بعد إلى هذه

النقطة. لقد صغتُ المشكلة فقط، وليس ما يجب أن أفعله إزاءها. لمّا

أحد ما يقول إنه يتوجب أن نقفز فوق المشكلة، أو يسأل ماذا يمكن لنا

أن نفعل لقريب أو صديق، لعجوز، ومن دون مال. هل تدركون ماذا يفعل هذا الشخص؟ إنه يهرب من الواقع. اصغوا لحظة لما أقول. لا توافقوا، ولا ترفضوا ما أقول، اصغوا إليه فقط. ليس لديكم النية على مواجهة الواقع الذي هو أنتم، بمشكلتكم، وليس الغير. إذا وجدتم حلاً لمشكلتكم نفسها ككائن إنساني، فسوف تساعدون الآخر (أو لن تفعلوه وفقاً للحال) على حل مشكلته. ولكن في اللحظة التي تنتقلون إلى مشكلة الآخر، وأنتم تسألون "ماذا يجب أن أفعل؟" أنتم تتناولون وضعاً حيث لا يمكن إعطاء أي إجابة، وبالنتيجة، يصبح الأمر تناقضاً. لا أدري فيما إذا كان كل ذلك واضحاً.

سائل: إنني من دون تعليم بسبب عجز طفولي، وهذا كان بالنسبة لي مشكلة مروعة في حياتي كلها. كيف أجد حلاً لها؟

كريشنامورتي: لديك قلق هائل لكي تجد حلاً لمشكلتك اليس كذلك؟ أنا لا أعاني منها آسف جداً. منذ البداية قلت لكم إنني لستُ معنياً بحل المشاكل، لا خاصتكم، ولا خاصتي. فأنا لستُ حامياً لكم، ولا مرشداً. أنتم أنفسكم المرشد والتلميذ في الوقت نفسه. وهنا أنتم كي تتعلموا، وليس كي تسألوا الآخر ماذا يتوجب أن تفعله، وماذا لا يتوجب أن تفعله. السؤال ليس حول ما يجب القيام به لأجل مُقعد، أو من أجل أحد ليس لديه مال كاف، أو أنه أمي، الخ، الخ. أنتم هنا كي تتعلموا بأنفسكم بخصوص المشاكل التي تعانون منها، وليس لكي يتم تعليمكم من خلالي. إذا لا تضعوني في هذه المكانة الزائفة، لأنني لا أريد تعليمكم. وإذا فعلت ذلك، فسوف أصبح مرشداً، غورو guru، وسوف أزيد من الأمور العديدة غير اللازمة، والتي تستغل القريب، والموجودة سابقاً في العالم. نحن نتعلم ليس إزاء دراسة ما، وإنما نتعلم كيف نبقي يقظين، ومنتبهين، وواعين لأنفسنا، وعلاقتنا، وبالنتيجة، فالأمر يختلف كاملاً عن العلاقة

بين معلم وتلميذ . هذا المحاضر لن يقوم بإعطائكم منهجاً، ولا بقول ما يجب أن تفعلوه، فهذا سيكون أمر غير ناضج بالكامل.

سؤال: عندما نكون عاجزين عن رؤية كل شيء تتضمنه مشكلة، كيف سوف نستطيع النفاذ حتى جذر هذه المشكلة وحلها؟

كريشنا مورتى: إنكم قلقون جداً لكي تكتشفوا ما يجب فعله، لدرجة أنكم لم تعطوني بعد الفرصة للدخول في هذه المسألة. اصغوا لبضعة دقائق إذا كان هذا يرضيكم. لن أقول لكم ما يجب فعله بخصوص مشاكلكم. أنا سوف أشير إليكم كيف تتعلمون، وما هو التعلم، وسترون إذاً أنكم عند فهمكم لمشكلة، فالمشكلة تنتهي. أما إذا استجذتم بأحد، طالبين منه أن يقول لكم ما يتوجب القيام به إزاء مشكلة، فسوف تصبحون مثل طفل صغير غير مسؤول، ويخطوات يرشده عليها الآخر، وستعانون مشاكل أكثر بعد . هذا أمر حقيقي وبسيط، وباعتبار الأمر على هذا المنوال، أطلب منكم مرة واحدة وللمرات كلها أن تمنحوها اقتبالاً في عقلكم وقلوبكم. ونحن ههنا من أجل أن نتعلم، وليس كي يتم إعطاؤنا منهجاً . أن يتم إرشادنا يعني الثقة بالذاكرة بما يُسمع من الآخر، ولكن التكرار البسيط لذاكرة، لا يجلب الحل للمشاكل. فقط هناك نضج في التعلم الفعال. إن استخدام المعرفة لذلك الذي تم تعلمه فقط من الذاكرة كوسيلة لحل المشاكل الإنسانية، ينجم عن غياب النضج، و فقط يمكنه إيجاد نماذج أكثر، ومشاكل أكثر.

الرغبة البسيطة في حل مشكلة، هي في حد ذاتها هروب من المشاكل. ألا تظنون ذلك؟ لم أنفذ إلى المشكلة، ولم أدرسها، ولم أستكشفها، ولم أفهمها. لا أعرف جمالها أو قبحها، أو عمقها، يكمن همّي الوحيد في حلها وإبعادها عني. وهذه اللفتة في حل مشكلة من دون فهمها هي هرب من المشكلة، وبالنتيجة تصبح مشكلة أكثر. وكل هروب يولد

مشاكل جديدة. حسناً، لدي مشكلة أرغب في فهمها كاملاً. ولا أرغب في الهروب منها، كما لا أرغب "عرضها لفظياً" تجاهكم، ولا أريد التكلم عنها إلى آخر، فقط أريد فهمها. أنا لا أنتظر من أحد أن يقول لي ما يجب أن أفعله. ما أعلمه أنه ما من أحد يمكنه أن يقول لي ما يجب أن أفعله، وفيما إذا كان أحد ما قد فعل ذلك، وأنا قبلتُ منهجك، فهذا في حد ذاته سوف يشكل فعلاً عديم الجدوى وغير معقول. لذلك، عليّ أن أتعلم من دون أن أمتهج، ومن دون لجوئي للذاكرة عما تعلمته حول المشاكل السابقة، كي أعالج المشكلة الحاضرة. أوه، ألا تدركون جمال ذلك!

هل تعرفون ماذا يعني أن نعيش في الحاضر؟ يبدو لي أنكم لا تعلمون للأسف. العيش في الحاضر يعني ألا يكون هناك أي استمرارية، ولكن هذا شيء سوف نتطرق إليه في مناسبة أخرى.

لدي مشكلة، وأرغب في فهمها، والتعلم منها. ولذلك لا أستطيع أن أجلب ذكريات من الماضي، وبمساعدها، أشغل نفسي بالمشكلة، لأن المشكلة جديدة وتحتاج لطريقة جديدة في دراستها، ولا أستطيع أن أطبق عليها ذكرياتي الميتة، والجامدة. المشكلة هي شيء ناشط، وبالتالي، عليّ أن أشغل نفسي بها الآن. وبالنتيجة، يجب إبعاد عنصر الزمن كلياً.

أرغب باكتشاف كيف تتبثق المشاكل، المشاكل السيكولوجية. وكما قلتُ، إذا ما فهمت كل البنية المسببة للمشاكل، وتالياً، أصير حراً من إيجاد مشاكل بالنسبة لي، وسوف أعرف إذاك كيف أتصرف بخصوص المال، والجنس، والكرهية، وبخصوص كل شيء في الحياة، وفي تعاملتي مع هذه الأشياء فلن أوجد مشاكل جديدة. عليّ إذاً أن أكتشف الكيفية التي تتبثق فيها المشكلة السيكولوجية، وليس في كيفية إيجاد حل لها؟ ما

من أحد بوسعه أن يقول لي كيف تنبثق المشكلة. أنا نفسي عليّ أن أفهم ذلك.

ولطالما أنني "أستكشف" داخل ذاتي، يجب أن تقوموا بالأمر نفسه، لا أن تظلوا فقط تصفون إلى كلماتي، ما لم تتجاوزوا الكلمات، وتظنوا إلى أنفسكم ذاتها. فالكلمات لن تقيدكم بشيء، وسوف تصبح مجرد تجريدات، لا حقيقة على الإطلاق. فالحقيقة هي حركة تقصّيكم الاستكشافية، وليست الإشارة اللفظية لهذه الحركة.

هل كل شيء على ما يرام حتى هنا؟

بالنسبة لي، كما ذكرت، فالحرية هي من الأهمية على درجة عالية، ولكن الحرية لا يمكن فهمها بحال من الأحوال فيما إذا لم يكن هناك ذكاء، و فقط الذكاء يمكنه الوجود عند فهمنا فردياً أسباب المشاكل. ويجب على العقل أن يكون مترصداً، ومنتبهاً، وفي حالة من رهافة الإحساس الفائقة، على نحو تكون فيه كل مشكلة لها حل حالما تمتثل أمامنا. وإلا فلن يكون هناك حرية حقيقية، فقط ثمة حرية سطحية، مجزأة، وبدون أدنى قيمة. وبناء على ذلك يفصح رجل غني بأنه حر. ومع ذلك فهو أسير للمشروب، والجنس، والراحة، وكومة من الأشياء. والإنسان الفقير الذي يقول: "أنا حر، لأنني لا أملك شيئاً"، فهذا الشخص يعاني مشاكل أخرى. الحرية إذاً، والمحافظة على هذه الحرية لا يمكن أن يكون مجرد تجريد، فهي يجب أن تشكل بالنسبة لكم ككائن إنساني، حاجة مطلقة، لأنه فقط عندما توجد الحرية يمكنكم أن تحبوا. كيف تستطيعون أن تحبوا إذا كنتم جشعين، وطامعين، ومنافسين؟

سادتي، لا توافقوا هكذا، فأنتم تجعلونني أقوم بالعمل كله وحدي. أنا لست مهتماً في حل المشكلة، أو في البحث عن أحد يقول لي، كيف

يكون حلها . ما من أي كتاب، ولا أي مرشد، ولا أي كنيسة، ولا أي كاهن يمكنه أن يقول لي ذلك . منذ آلاف السنين ونحن نلهو بهذه الأشياء، ونستمر مُحمّلين بالمشاكل . التردّد على الكنيسة، والاعتراف، والصلاة، ... لا شيء من هذا القبيل سوف يحل لنا مشاكلنا التي فقط تستمر بالتكاثر، كما يحدث حالياً، إذًا، كيف تنبثق المشكلة؟

كما ذكرت، عندما لا يكون هناك تناقض داخلي، فما من أي مشكلة . يحتوي التناقض على صراع الرغبة . ولكن الرغبة في حد ذاتها ليست متناقضة . والأصح، أن ما يوجد التناقض هو أغراض الرغبة . لأنني أرسم لوحات، وأؤلف كتباً، أو من أجل أي شيء أحقق أقوم به، فأنا أرغب أن أكون مشهوراً، ويُنسَى عليه، ولما أحد لا يعترف باستحقاقاتي، يحدث تناقض وأصير في حالة يُرثى لها . فأنا أخشى الموت، الأمر الذي لم أفهمه، وفي هذا الذي أدعوه "حباً"، ثمة تناقض . أرى إذًا أن الرغبة هي بداية التناقض، ليست الرغبة في حد ذاتها، بل أغراض الرغبة هي المتناقضة . وفي حال تعيّن علي تغيير أو إنكار أغراض الرغبة، قائلاً إنني ربطت نفسي بشيء وحيد فقط، ولا شيء أكثر، وهذا الشيء بدوره، يصبح أيضاً مشكلة، لأنه يتعين علي المقاومة، وإنشاء حواجز أمام كل شيء آخر . وهكذا، فما يتوجب أن أفعله ليس فقط تغيير أو التقليل من أغراض رغبتني، وإنما فهم الرغبة في حد ذاتها .

لعلكم تقولون: "أي علاقة لهذا كله مع المشكلة؟"

نظن أن الرغبة توجد الصراع، والتناقض، وأنا أشير بأنه ليست الرغبة، بل أغراضها، أو الأهداف المتناقضة للرغبة التي توجد التناقض . وما من أي فائدة في محاولة الاحتفاظ برغبة وحيدة فقط . هذا الأمر كما يفعل الكاهن الذي يقول: "لدي فقط رغبة، والرغبة هي بلوغ الله"، وثمة رغبات لا نهاية لها، ليس لدي أدنى وعي لها . يكفي إذًا

فهم طبيعة الرغبة، ولا العمل فقط في السيطرة عليها أو إنكارها . تقول الأدبيات الدينية إنه لا يجب أن توجد الرغبة، وإنما نعم، تدمير الرغبة، الأمر الذي هو انعدام للحيوية . من الضروري أن نفهم كيف تنبثق الرغبة، وما يعطيها استمرارية . وليس كيف نقوم بإنائها . هل تفهمون المشكلة؟ يمكن أن نرى كيف تنبثق الرغبة . وهذا أمر بسيط جداً .

ثمة الإدراك، والاتصال، والإحساس (إحساس حتى من دون اتصال) وينتج عن الإحساس بداية الرغبة . أرى سيارة، خطوطها، وشكلها، وجمالها، وهذا كله يجذبني إليها، فأرغب بها . ولكن تدمير الرغبة يعني أن تصير عديم الإحساس تجاه كل شيء . ولما أكون حساساً، فأنا في "سياق" الرغبة . أرى غرضاً جميلاً أو امرأة جميلة - أياً كان الأمر - الأمر الذي يؤدي إلى إيقاظ الرغبة، أو أرى رجلاً ذكياً إلى درجة فائقة للعادة، وتكاملاً، فأبتغي أن أكون على هذا النحر أيضاً . ومن الإدراك يأتي الإحساس، ومن الإحساس تنشأ بداية الرغبة . وهذا ما يحدث بالحقيقة، ما من شيء معقد في الأمر . فالتعقيد يدخل فقط عندما يدخل الفكر في المشهد، ويمنح الرغبة استمرارية . أفكر في السيارة، وفي الزوجة، أو في الرجل الذكي، ومن هذا الفكر، تتلقى الرغبة استمرارية . وإلا فهي لن تستمر . يمكنني النظر إلى السيارة، ولا يتعدى الأمر ذلك . هل تفهمون ما أرمي إليه؟ ولكن، في اللحظة التي أفكر بالسيارة، فالرغبة إذاً يكون لها استمرارية، ويبدأ التناقض .

سؤال: هل يمكن تواجد رغبة من دون غرض؟

كريشنا مورتى: إن شيئاً كهذا لا يوجد . ليس ثمة رغبة مجردة .

سؤال: إذاً، فالرغبة دائماً على علاقة مع غرضها . ولكنك قلت إنه علينا أن نفهم آلية الرغبة في حد ذاتها، وليس أن نشغل أنفسنا بغرضها .

كريشنا مورتى: سيدي، لقد أظهرتُ الكيفية التي تولد فيها الرغبة،
وكيف نعطيها استمرارية بواسطة الفكر.
آسف جداً، علينا أن نتوقف الآن. وسنتابع يوم الخميس المقبل.

14/تموز/1964

الفصل الثالث التواصل والوصال

على ما أظن أنه ثمة اختلاف كبير بين "أن أكون في تواصل"، وأن أكون "في وصال". أن أكون في تواصل يعني المشاركة بالأفكار بواسطة كلمات مرضية أو مُزعجة، وبواسطة رموز، وحركات، ويمكن ترجمة الأفكار أيديولوجياً، أو تفسيرها وفقاً للميزات، والخصوصيات، و"قاع" كل واحد منا. ولكن في الوصال، أظن أن ما يحصل فهو شيء مختلف جداً. ففي الوصال ليس ثمة مشاركة أفكار، أو ترجمة أفكار. وقد يكون أو لا يكون في تواصل مع الآخرين بواسطة الكلمات، ولكنه يجد نفسه في علاقة مباشرة مع الذي يرصده، أو يجد نفسه في شعور بالوحدة مع العقل نفسه، ومع القلب ذاته. ويمكن على سبيل المثال الشعور بالوحدة (الوصال) مع شجرة، أو جبل، أو نهر. لا أدري فيما إذا كان أحدكم ذات مرة جالساً تحت شجرة، وفيما إذا اختبر فعلاً أن يكون في شعور بالوحدة معها. وهذا الأمر ليس شاعرياً، ولا انفعالياً: إنه على اتصال مباشر مع الشجرة. ثمة حميمية فائقة العادة لهذه العلاقة. وفي الشعور بالوحدة هذا، يجب أن يتواجد صمت وحس عميق بالسكينة، وتكون الأعصاب والجسم في شعور بالارتياح لدرجة أن القلب نفسه يكاد أن

يتوقف. ليس ثمة تسوية، ولا ثمة تواصل، ولا ثمة مشاركة. فأنتم لستم الشجرة، ولا تماهيتم معها، وهناك فقط شعور بحميمية في صمت عميق. لا أدري إذا ما اختبرتم هذا ذات مرة. تختبرونه في مناسبة حيث عقلكم لا يكون في "ثرثرة"، ولا في "شرود"، الأمر الذي ليس هو "مناجاة للنفس"، ولا تذكراً لأشياء قمتم بها، أو تقومون بها. انسوا ذلك كله، واسعوا للدخول في شعور بالوحدة مع الجبل، ومع نهر، وشخص، وشجرة، ومع حركة الحياة نفسها. ويقتضي هذا الأمر شعوراً فائقاً للعادة من الطمأنينة وانتباه خاص - ليس تركيزاً، وإنما انتباه طبيعي ورائع.

من المؤكد أنني أرغب بأن أكون في شعور بالوحدة معكم، ففي هذا الصباح بخصوص ما كنا نتقصى في يوم آخر. تكلمنا عن الحرية وجوهرها. ليست الحرية مثلاً، شيئاً موعلاً في القدم، وليست مفهوماً لعقل أسير، ولا مجرد نظرية. ويمكن أن توجد حرية فقط عندما لا تعيق العقل أي مشكلة. والعقل الذي يعاني من المشاكل لا يمكنه أبداً المشاركة بحرية أو أن يكون واعياً لهذا الشيء الفائق للعادة الذي هو عليه.

أغلبية الأشخاص يعانون مشاكل، ويتحملونها ببساطة ويعتادون عليها، ويقبلونها كجزء ضروري من الحياة. ولكن مشاكل كهذه لا تحلّ من خلال قبولها أو الاعتياد عليها، وإذا ما كشطنا السطح فإننا نعثر عليها هناك في حالة "تقيح" كما هي على الدوام. ويعيش معظم الأشخاص في هذه الحالة وهم يقبلون بشكل دائم مشكلة بعد أخرى، وألماً بعد آخر، يشعرون ويقبلون خيبة الأمل، والقلق، والشعور باليأس. وببساطة، إذا قبلنا المشاكل وبقينا معها، فنحن لن نقوم بحلها بشكل واضح. وبوسعنا القول إننا نسيناها أو ما من أدنى أهمية لها، ولكنها

مهمة على نحو لا متناه لأنها تفسد الروح، وتشوه الإدراك، وتفسد الصفاء. وفي حال كان لدينا مشكلة، فهي تقترح عموماً حقل حياتنا كله. قد تكون مشكلة مال، أو مشكلة جنسية، وانعدام الإرشاد، أو الرغبة المعتبرة في أن نحقق ذواتنا، وأن نصبح مشهورين. أياً كانت الرغبة فهي تمتصنا لدرجة تستولي على وجودنا كله، ونظن أننا بإيجادنا حلاً لها، فسوف نتحرر من عذاباتنا. ولكن العقل المحدود والمسكين الذي يحاول أن يحل مشكلته الشخصية عازلاً إياها عن الحركة الكلية للحياة، لن يستطيع أبداً أن يحرر نفسه من مشاكله، لأن كل مشكلة متعلقة بالأخرى. ولذلك، لا جدوى من كل محاولات حلها التجزيئية. إنها مثل غرس جزء وحيد من الحقل فنظن أننا غرسنا الحقل كله. عليكم أن تغرسوا الحقل بالكامل، والتأمل في كل مشكلة.

وكما ذكرت آنفاً، فالأهمية ليست في حل المشكلة، بل في فهمها، من الأكثر إيلاماً، والأكثر ضغطاً، والأكثر أهمية، والأكثر اضطراراً، أياً كانت. من دون أن يبتغي بأن يكون المرء إيجابياً، أو عقائدياً، يبدو لي أن الانشغال بمشكلة وحيدة بشكل خاص، لهو أمر يؤشّر إلى عقل اعتيادي، والعقل الاعتيادي هو الذي يحاول باستمرار أن يحل مشكلته الشخصية، ولن يعثر إطلاقاً على واسطة للتحرر من المشاكل. وسوف يتمكن من الهروب بعدة طرق، ويصبح فظاً، ولاذعماً، أو يستسلم للشعور باليأس، ولكنه لن يفهم مطلقاً المشكلة الكلية للوجود.

وهكذا، إن كان علينا أن نتعامل مع المشاكل، فيتوجب علينا أن نشغل أنفسنا بالحقل كاملاً حيث تتكاثر المشاكل، وليس ببساطة التطرق لمشكلة معينة فقط. أي مشكلة، من الأكثر تعقيداً، ومن خلال الأكثر ضرورة أو ضغطاً، فهي على علاقة مع المشاكل الأخرى كلها، ويهم جداً، بالتالي، عدم التعامل معها بشكل تجزيئي، وشيء كهذا صعب للغاية.

وعندما يكون لدينا مشكلة اضطرارية، ومؤلمة، وملحة، فإننا نفكر
عموماً بما يتوجب أن نحل انعزالياً كل مشكلة بمفردها، من دون الأخذ
بعين الاعتبار المجموعة كلها للمشاكل. ونفكر فيها على نحو تجزيئي،
ولكن العقل التجزيئي في واقع الأمر هو عقل اعتيادي، إنه إذا سمحتم
لي بالتعبير - عقل بورجوازي. أنا لا أوظف هذه الكلمة بمعنى التقليل
من قيمته، وإنما فقط للإشارة للواقع الذي هو عليه العقل، فهو
اعتيادي عندما ينوي حل مشكلة شخصية بشكل منعزل. الشخص
المعذب بالغيرة على سبيل المثال، يرغب بالتحرك حالاً، ويفعل أي شيء
يقمع الغيرة أو ينتقم. ولكن هذه المشكلة الفردية هي على علاقة مع
المشاكل الأخرى. إنه الكل الذي علينا أن نأخذه بعين الاعتبار، وليس
الجزء فقط.

عند تأملنا للمشاكل، يجب أن يفهم بأننا غير معنيين بإيجاد حل لأي
مشكلة. وكما قد أشرت، فالتقصي الذي يهدف فقط للعثور على حل
مشكلة ليس سوى هروب من المشكلة. وقد يكون الهروب مريحاً أو مؤلماً،
وقد يتطلب قدرة فكرية، الخ، وكيفما كان الأمر فسوف يظل هروباً على
الدوام. وإن ترتب علينا حل مشاكلنا، وإن تعين علينا أن نتحرر منها،
منفجراً علينا من كل الضغوطات التي تسببت بها، على نحو يبقى فيه
العقل ساكناً بالكامل، ويتمكن من الإدراك (ذلك أنه يمكن الإدراك فقط
في حالة من الشعور بالحرية)، إذأ، قبل كل شيء، ما يجب أن يهمننا ليس
كيفية حل مشكلة، وإنما نعم، فهمها. وأن نفهم مشكلة فهو أهم بكثير من
حلها. ولا يمثل الفهم الإمكانية أو حذاقة العقل الذي اكتسب عدة
أشكال من المعرفة التحليلية، إنه قادر على تحليل مشكلة ما، والفهم
يعني أن يكون المرء في وصال مع المشكلة. وأن يكون المرء في وصال لا
يعني أن يجد نفسه متماهياً مع المشكلة. كما قيل كي يكون المرء في

وصال مع شجرة، مع كائن إنساني، مع نهر، مع جمال الطبيعة الخارق، فالأمر يحتاج إلى سكينة ما، وإحساس ما بالانفصال والابتعاد عن العالم.

وهكذا، فما نحن في صدد محاولته هو التعلم في أن نكون في وصال مع المشكلة. ولكن، هل تدركون الصعوبة التي يتضمنها هذا التصريح؟ بتواجد وصال مع الآخر، فإن فكرة "الأنا" تكون غائبة. لما تكونون في شعور بالوحدة (وصال) مع الكائن المحبوب، ومع زوجتكم، ومع ابنكم، وعندما تمسك بيد صديق، ففي هذه اللحظة (فيما إذا لم يتعلق الأمر بهذه العاطفية الزائفة، والشهوانية، الخ...، فما يدعونه "حباً" هو شيء مختلف بالكامل، شيء حي، دينامي، حقيقي) ثمة غياب كلي لآلية "الأنا"، مع "سياقها الفكري". وعلى نحو مشابه، أن يكون المرء في وصال مع مشكلة، يتضمن ذلك رسداً كاملاً لا تماهياً، أو ليس كذلك؟ الأعصاب، والمخ، والجسم، والكينونة، كل ذلك يكون ساكناً. وفي هذه الحالة يمكن رصد المشكلة من دون تماه، وهذه هي الحالة الوحيدة التي يكون ممكن فيها فهم المشكلة. من ندعوه فناً، قد يرسم شجرة، أو يكتب قصيدة عنها، ولكن هل هو فعلاً في وصال معها؟ في حالة الوصال ليس ثمة تسوية، ولا فكرة تواصل، كما البحث أيضاً عن طريقة تعبير. وإذا عبرتم أم لا عن الوصال هذا في كلمات على شاشة أو حجر من الرخام، قلماً بهم، أما في اللحظة التي ترغبون بالتعبير فيها من أجل إظهارها، وبيعها، فتجعلكم مشهورين، الخ... يبدأ إذاك "الأنا" يشعر بأهميته.

أن نفهم مشكلة بالكامل يعني الوصال معها. وسترون إذاك أنه ما من أي مشكلة لها أهمية في حد ذاتها، ذلك أن ما يهم هو الحالة العقلية للوصال، وليس الحالة الخائفة للمشاكل. ولكن إن لم يكن الفرد قادراً

على الوصال هذا، وإذا كان متمركزاً حول أنيته، أي أنه أناني، ويرغب بتعبير شخصي، ومقدار كبير من الصبانيات الأخرى، فهذا هي العقلية الاعتيادية التي تولد المشاكل.

على هذا النحو، كما أوضحت، من أجل فهم مشكلة، أي مشكلة، فمن الضرورة بمكان أن نفهم سياق الرغبة. إننا متناقضون سيكولوجياً، وبالنتيجة، في نشاطنا أيضاً. نفكر بشيء ونفعل شيئاً آخر. نعيش في حالة من "التناقض"، وإلا فلن نتواجد مشاكل، نناقض أنفسنا عندما لا يكون هناك فهم للرغبة. وكما نعيش من دون صراع من أي نوع كان، فمن الضروري فهم بنية وطبيعة الرغبة - لا قمعها، ولا السيطرة عليها، ولا المحاولة في تدميرها، أو ببساطة الاستسلام إليها، كما نفعل عادة. وهذا لا يعني أن نستسلم للنوم، ونعيش حياة خاملة، ونقبل ببساطة الحياة بانحلالها كله، بل يعني أن يدرك كل واحد بذاته أن الصراع في أي هيئة كان، صراع مع المرأة، أو الزوج، أو الجماعة، أو المجتمع - فهو يضر العقل، ويجعله مُنهكاً، وعديم الإحساس.

كما قيل فيما سبق، فالرغبة في حد ذاتها ليست متناقضة، وإنما أغراض الرغبة، وارتجاع الرغبة تجاه هذه الأغراض التي توجد التناقض. الرغبة فقط تكابد استمرارية عندما يتماهى الفكر معها.

وكي يتم الرصد، يحتاج الأمر إلى رهف حس، والأعصاب، والعينين، والأذنين، والوجود كله يجب أن يكون حياً، وعلى ذلك، فالعقل يجب أن يكون ساكناً. إذاً يمكن النظر إلى سيارة جديدة، أو امرأة جميلة، أو منزل فخم، أو وجه حيوي وذكي؛ ويمكن رصد هذه الأشياء، ورؤيتها على ما هي عليه، وعدم تجاوز ذلك. ولكن عموماً ماذا يحدث؟ ثمة رغبة والفكر متماه مع الرغبة الأمر الذي يمنحها استمرارية.

لا أدري إذا ما كنت أعبر بوضوح. سوف نتفحص هذه النقطة لاحقاً.

تكمُن الأهمية في الرصد من دون تدخل الفكر. ولكن لا تجعلوا الآن من هذا التصريح مشكلة. لا تقولوا: "كيف يمكنني الرصد، وكيف يمكنني الرؤية والشعور، من دون أن أترك الفكر يتدخل؟" إذا ما أدركتم بأنفسكم سياق الرغبة كله، والتناقض المتسبب من خلال اغراض الرغبة، والاستمرارية التي يعطيها الفكر للرغبة، وفي حال أدركتم كل هذه الآلية في فعل، فأنتم لن توجهاوا سؤالاً كهذا. وكما نتعلم قيادة سيارة، لا يكفي أن نتلقى إرشادات نظرية. علينا أن نجلس أمام المقود، وأن نشغل "السيارة"، ونستعمل كوابحها، وأن نتعلم تقنية القيادة كلها. وبالطريقة نفسها تتوجب معرفة الآلية الدقيقة إلى أقصى حد للفكر وللرغبة، وليس فقط أن يتلقى المرء المعلومات بهذا الخصوص. تحتاجون للنظر إلى الفكر، وتعلم ما يتواجد فيه، بأنفسكم ذاتها، وهذا يتطلب أن تحيطوا بالأمر برهافة إحساس.

وهكذا، فالمهم لا يكمن في حل مشكلة، وإنما في فهمها. وفقط تمتثل مشكلة عندما يوجد تناقض، وصراع، وكل صراع يفترض مجهوداً. أوليس حقيقة؟ مجهود من أجل البلوغ، ومجهود من أجل "أن يصير أحداً"، ومجهود لكي يتحول هذا في ذلك، ومجهود للاقتراب من شيء أو من أجل الابتعاد عنه. ويعود أصل هذا المجهود إلى الرغبة، الرغبة التي أعطتها الفكر استمرارية. وبالنتيجة، يجب تعلم كل شيء له علاقة مع هذا السياق، التعلم، وليس فقط أن يتم إرشادك من خلال هذا المحاضر. ذلك أن هذا ما من أي قيمة له. على سبيل المثال قد يكون ما تسمعون به بواسطة الهاتف يمكنه أن يكون مريحاً أو مزعجاً، يمكن أن يكون حقيقياً أو باطلاً، زائفاً بالكامل، ولكن ما تصفون إليه هو المهم، وليس جهاز الهاتف. عموماً نولي أهمية للأداة. ونفكر أن الأداة سوف تعلمنا شيئاً، وأنا قد حذرتكم مراراً بخصوص هذا الشكل الخاص من

الحماسة. أنتم ههنا من أجل التعلم، وتصفون ليس فقط للمحاضر، بل لأنفسكم ذاتها. تتواصلون مع عقلكم نفسه، وترصدون عمل الرغبة والكيفية التي تنبثق فيها المشكلة. تكونون على حميمية مع أنفسكم ذاتها، وهذه الحميمية فقط يمكن الشعور بها بعمق عندما تواجهون المشكلة بالهدوء كله من دون أن تقولوا: "أحتاج إلى تصفية هذه المشكلة الجهنمية"، ومن دون أن تشعروا بأنفسكم منفعلين أو مثارين بخصوصها تبتغون أن تتفحصوا كيف تنبثق مشكلة وكيف يجعل الفكر ديمومة لها مانحاً استمرارية لرغبة ما. إذاً لتعلم كيف تنبثق، وكيف تنتهي مشكلة، من دون أن نحتاج للزمن كي نتأمل فيها، وإنما أن نضع حداً لها حالاً.

أياً كانت المشكلة، فالفكر هو الذي يمنحها استمرارية. وإذا قلت لي شيئاً يرضيني، فالفكر يتماهى مع هذا السرور، ويرغب الاستمرار فيه، وبالتالي، أعتبركم أصدقائي، وأزوركم بتواتر. ولكن إذا ما وجهتم لي شيئاً مهيناً، فما الذي يحدث؟ أعطي أيضاً استمرارية لهذا الشعور، مفكراً فيه. وما قلتموه قد يكون حقيقياً، ولكنه لا يرضيني، وعلى هذا أتجنبكم أو ربما أرغب "أن أبادلكم الشيء نفسه". وهذه الآلية التي توجد وتبقي المشاكل حية.

أظن الآن أن الأمر واضح جداً. وبالتفكير بشكل متواصل بشيء ما، فإننا نعطيه استمرارية. وتعلمون كم هي الأشياء المشوشة التي تفكرون بها حول أنفسكم، وحول عائلتكم، وكم هو التذكر المرضي، وكم هي الأوهام التي لديكم بخصوصكم، وتفكرون على نحو متواصل في هذا كله، وبالتالي تمنحونها استمرارية. حسناً، إذا بدأتم تفهمون هذا "السياق" في كله، والتعرف فردياً على طبيعة الاستمرارية، إذاك عند امتثال مشكلة، فسوف تستطيعون الدخول في وصال تام معها، لأن الفكر لا يتدخل، وبالنتيجة تنتهي المشكلة فوراً. هل تفهمون ما أرمي

إليه؟ لتأمل مشكلة اعتيادية جداً: الرغبة بالأمان. معظمنا يريد أن يكون في أمان، وهذه إحدى الضروريات الإنسانية التي ورثها عن ماضيه الحيواني. ومما لا شك فيه أنه ضمن المعنى المادي للكلمة، يحتاج المرء إلى أمان ما. نحتاج إلى مكان حيث نقيم، وأن نعرف أين نحصل على الوجبة المقبلة، هذا ما لم نكن نحيا في المشرق حيث يمكننا "اللعب" بما يخص انعدام شعور الأمان المادي، فنسير من قرية إلى قرية، الخ. لحسن الحظ، أو لسوء الحظ، لا يمكن فعل ذلك هنا (الغرب)، فمن يفعل ذلك يكون مهدداً بالتشرد، الخ.

لدى الحيوان، ولدى الرضيع، ولدى الطفل، تكون اللفتة للأمان المادي قوية جداً. ولكن الأغلبية تبتغي أن تكون في أمان سيكولوجياً، في كل ما نفعله، ونفكر به، ونشعره، نريد الأمان واليقين. ولذلك، ثمة مقدار كبير من التنافس بيننا، ولذلك نحن غيورون، وطمّاعون، وحسودون، ومتوحشون، ونعيش مهتمين على نحو هائل بأشياء لا معنى لها. وهذه الضرورة الملحة للشعور بالأمان السيكولوجي موجودة منذ ملايين السنين، ولم نسأل إطلاقاً عن حقيقة وجودها. كنا قد ركزنا وأكدنا أنه لا بد من وجود الأمان السيكولوجي في علاقاتنا مع العائلة، والزوجة، والزوج، والأبناء، وملكيّاتنا، ومع ما ندعوه الله. نريد أن نشعر آمنين بأي ثمن.

والحال هذه، أحتاج إلى وضع نفسي في وصال مع هذه الضرورة للشعور بالأمان السيكولوجي، الأمر الذي هو مشكلة حقيقية. هل تفهمون ما أرمي إليه؟ إذا لم نشعر أننا آمنون سيكولوجياً، فهذا بالنسبة لنا كالغرق في مياه عميقة، أو نصير عصائبيين "غريبي الأطوار". يمكن ملاحظة هذه "غرابية الأطوار" في ملامح أشخاص كثيرين. وأنا أرغب باكتشاف الحقيقة المتعلقة بهذه المسألة، وأن أفهم بالكامل ضرورة

الشعور بالأمان، لأنها الرغبة في أن يكون المرء آمناً في العلاقات التي تولد الغيرة، والقلق، الذي يؤدي إلى ولادة الكراهية، والعذاب الذي يعيش فيه معظمنا . وكيف يستطيع العقل الذي يطلب الشعور بالأمان منذ ملايين السنين، والذي هو مشروط جداً، أن يكتشف الحقيقة المتعلقة بالأمان؟ وكما نكتشف هذه الحقيقة، عليّ أن أكون بشكل طبيعي في وصال تام معها . لا أستطيع أن أدع نفسي يتم إرشادها من خلال آخر بخصوص هذا الشأن، فهذا سيكون ضرب من اللامعقول . أنا نفسي عليّ أن أتعلم ما هي هذه الحقيقة . ويكفيني تفصيها واكتشافها، وعليّ أن أكون في حميمية تامة مع هذه الضرورة للشعور بالأمان، وإلا فلن أعرف إطلاقاً فيما إذا كان موجوداً أم لا هذا الشيء المدعو بالأمان . وعلى الأرجح فهذه هي المشكلة الأساسية لكل واحد منا . وإذا ما اكتشفت أنه لا يوجد فعلاً أي أمان، فلن يكون هناك أي مشكلة؟ وسأكون خارج المعركة من أجل الحصول على الأمان . وبالنتيجة، إن فعلي في العلاقات يكون مختلفاً بالكامل . وإذا رغبت زوجتي في التخلي عني، أدعها تتخلى عني، ولن أعاني بسبب ذلك وضعاً مؤلماً، ولن أكره أحداً، ولن أصبح غيوراً، ولا حسوداً، ولا غاضباً، الخ .

أرى أن تعيروا انتباهكم كله! أنتم أكثر تألفاً مني بكثير مع هذه الأشياء . وشخصياً لا أرغب أن أجعل من الأمان مشكلة، لا أرغب إيجاد أي مشكلة في حياتي، لا اقتصادية، ولا سيكولوجية، ولا دينية . أرى بوضوح أن العقل الذي يعاني مشاكل يصبح مُنهكاً، وعديم الإحساس، وفقط من يكون مرهف الحس يكون ذكياً . وبرؤية أن هذا النداء للأمان يزداد إلحاحاً بعمق وعلى نحوٍ دائم، وفي كل واحد منا، أرغب باكتشاف الحقيقة المتعلقة بالأمان . ولكن هذه مسألة صعبة جداً في تفصيها، لأنه ليس فقط منذ طفولتنا، بل منذ بداية الأزمنة، سعينا دوماً للأمان،

الأمان في عملنا، وفي أفكارنا، ومشاعرنا، وفي عقائدنا، وألهتنا، وفي أمتنا، وعائلتنا، وفي ملكياتنا. ولذلك فالذاكرة، والموروث، وعمق الماضي، كل هذا يلعب دوراً هاماً جداً في حياتنا.

والحال هذه، فإن كل تجربة تجعلني أكثر قوة لوعي الأمان. كل تجربة يجري تسجيلها في الذاكرة. وتضاف إلى مستودع الأشياء الماضية. وهذه التجربة المتراكمة تصبح القاع خاصتي الذي تتشكل حياتي اعتباراً منه، قاع حيث أتابع "مختبراً"، وبالنتيجة، فكل تجربة جديدة سوف تُضاف، وتدعم هذا القاع للذاكرة، حيث أشعر أنني محمي وآمن. إذاً أحتاج لكي أعي كل هذا السياق الفائق العادة للإشراط. والأمر لا يتعلق بمعرفة كيف أصير حراً من إشراطي، وإنما بالأحرى في أن أكون في وحدة شعور معه من لحظة إلى لحظة. وأستطيع إذاً النظر للرجبة بالأمان من دون إفساده في مشكلة.

كريشنا مورتى: هل كل شيء واضح؟ هل ثمة أسئلة؟

سائل: ليس ثمة وصال لأن العقل واقع تحت عبء "الأنا".

كريشنا مورتى: سيدي، سوف أسألك أمراً: ما هو الوصال؟ والحال هذه، ماذا يحدث عندما تستمع لهذا السؤال؟ الآلية كلها لعقلكم المشروط تدخل في عمل، ومن ثمّ تجيبون عن السؤال، ولكنكم لا تصفون فعلياً. ربما تكونون، وربما لا تكونون قد تأملتم بهذا الخصوص. قد تكونون فكرتم في ذلك عَرَضياً، أو لعلكم قرأتم حول الموضوع في هذا أو في ذاك الكتاب، وتكررون ما قرأتم. ولكنكم لا تصفون. وعندما يقول هذا المحاضر: "اسعوا لأن تكونوا في وصال مع شجرة، إنه لواضح فيما إذا كان لديكم اهتمام حقيقي - فسوف يتعين عليكم أولاً أن تكتشفوا ما يعني هذا. تذهبون وتجلسون تحت شجرة، أو على ضفة نهر، أو في ظل جبل، أو ببساطة تنظرون إلى وجه زوجتكم، وابنكم. ماذا يعني "أن يكون

المرء في وصال؟ يعني ألا يتواجد عائق فكري بين الراصد، وذلك الذي هو المرصود. لا يتماهى الراصد مع الشجرة، ولا مع الشخص، ولا مع النهر، ولا مع الجبل، ولا مع السماء. الأمر ببساطة أنه لا يوجد أي عائق. وإذا ما كانت توجد "أنيتكم" بأفكارها المعقدة، وهمومها، وتقومون برصد شجرة، فلن يكون هناك إذاً وصال مع الشجرة. وأن تكونوا في وصال مع أحد أو شيء ما يتطلب الأمر فراغاً، وصمتاً، وجسدكم، وأعصابكم، وعقلكم، وقلوبكم، ووجودكم كله يجب أن يكون ساكناً، وهادئاً بالكامل. لا تقولوا "كيف أستطيع أن أجعل نفسي مطمئناً؟" لا تجعلوا من الطمأنينة مشكلة إضافية. انظروا ببساطة، أنه ليس ثمة وصال فيما إذا كانت آلية الفكر في فعل، الأمر الذي لا يعني أن ينام المرء. وعلى الأرجح، إن لم تفعلوا ذلك إطلاقاً، ولم تكونوا في وصال البتة، فزوجتكم أو زوجكم، مع من تنامون وتتفلسفون، وتأكلون، ويكون لديكم أبناء، الخ. على الأرجح لن تكونوا البتة، ولا حتى في وصال مع أنفسكم ذاتها. وإذا كنتم كاثوليك، وتذهبون إلى الكنيسة، تتلقون ما يُدعى بـ"المناولة"². ولكن ليس هذا ما أتكلم عنه. فإن أشياء كهذه صبيانية كلها. وعندما نتكلم عن الوصال مع الطبيعة، ومع الجبال، وبيننا، فنحن لا نعرف عموماً ما يعني هذا، ونسعى لتصوره. نتفكر حول المادة، ونقول

² إن مرادفة "comunhão" متعددة المعاني وفقاً للسياق الذي تأتي فيه، فهي من جهة تعني "سر المناولة" الذي يقوم به الكاهن في الطقس الكنسي، فيتناول المؤمن "قرباناً" مغمساً بالنبيذ رمزاً لجسد ودم المسيح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ووفقاً لسياق آخر تأتي بمعنى "مشاركة" أو "اشتراك"، أو "وحدة شعور" بمعنى الشعور بالوحدة مع الشيء، وهذا ما اختصره بمرادفة "وصال" وقد وجدت الأخيرة أفضل تعبيراً وفقاً لسياق النص، وفي عدة أحيان استخدمت هذه المعاني الثلاثة تزامنياً في سياق الفصل الذي اتخذت هذه الكلمة جزءاً من عنوانه بالبرتغالية: Comunicaçã e comunhão. (المترجم)

إنه "الأنا" الذي يمنع حدوث هذا الوصال مع الشيء أو الآخر. سادتي، لا تجعلوا من الشعور بالوحدة (الوصال) مشكلة جديدة. لديكم ما يكفي من المشاكل، وبالتالي، اصفوا ببساطة. فأنتم في شعور بالوحدة معي، وأنا في شعور بوحدتي معكم. أقول لكم أمراً ما، وكي تفهموه، عليكم أن تصفوا. ولكن الإصغاء يعني انتباهاً من دون مجهود بأعصاب مسترخية (غير مشدودة)، والأمر لا يعني "عليّ أن أصغي"، وتضعون أنفسكم في حالة من الاستثارة والتوتر العصبي. أو بعبارة أخرى، أن تصفوا برضى، وبطبيعية، وفي صمت كي تستطيعوا أن تكتشفوا ماذا يرغب المحاضر أن ينقله إليكم. وما يقوله قد يكون مجرد هراء، أو شيء ما من الحقيقي، وكفيكم أن تصفوا للاستقصاء، ولكن هذا يبدو تشكيل واحدة من أعظم مصاعبكم. فأنتم لا تصفون حقيقةً، وعلى نحو عقلائي، إنكم تبرهنون معي، مشيدين عائقاً من الكلمات.

أنا أقول إن الأهمية في كل هذا تكمن في تعلم أن يكون الواحد منا في شعور بالوحدة مع نفسه ذاتها، بطريقة ممتعة، وسعيدة، وعلى نحو تستطيعون فيه متابعة الحركات الصغيرة كلها لفكركم وشعوركم، كما لو أنكم تتبعون مسار نهر. انظروا إلى نشاط كل فكر وكل شعور من دون أن تسعوا لتصحيحه، ومن دون أن تقولوا عنه إنه جيد أو سيئ، ومن دون أي من هذه الأحكام الساذجة، والبورجوازية للعقل الاعتيادي الذي لا معنى له. ارسدوا فقط، وفي الرصد من دون أن تتماهوا مع أي فكر أو شعور ممتع أو مزعج، وسترون أنكم سوف تستطيعون أن تكونوا في شعور بالوحدة مع وجودكم.

إن معظمنا يرغب في أن يكون آمناً سيكولوجياً، ومن هذا نتساءل، ولهذا السبب، تصبح العائلة كابوساً حقيقياً، ويصبح شيئاً مروّعاً، لأننا نجعل منها الوساطة خاصتنا لشعورنا بالأمان. وتالياً، تصبح أيضاً الأمة

هي أماننا، ونحن نتخلى عن الاهتمام بتفاهات القومية. لدى العائلة سببها في وجودها، ولكن حينما تفيدنا كواسطة للشعور بالأمان، فهذا لن يكون أكثر من سم قاتل.

وكي نكتشف الحقيقة المتعلقة بالأمان، يتوجب أن تكونوا في وصال مع الرغبة بأن تشعروا بالأمان، والمترسخة بعمق فينا، والتي تتمظهر على نحو متواصل تحت أشكال مختلفة. فالبحث عن الشعور بالأمان، ليس فقط في العائلة، بل أيضاً في الذكريات، وفي الهيمنة، أو في تأثير الآخر. فأنتم تتراكمون في إثر ذكريات تجرية ما أو علاقة كانت سارة لكم، وأعطتكم أملاً، وارتياحاً، وفي هذه الذكرى تبحثون عن ملاذ لكم، وثمة الأمان الذي تتيح به الموهبة والمعرفة، والأمان الحاصل من خلال الاسم والمكانة. وثمة الأمان الناجم عن قدرة، فأنتم قد تعرفون الرسم أو العزف على الكمان، أو تنفيذ أي شيء آخر، يجعلكم تشعرون بأنكم آمنون.

طبعاً، ذات مرة تكونون في وصال مع الرغبة التي تدفعكم للبحث عن الأمان، مدركين أن هذه الرغبة موجدة للتناقض (ذلك أن لا شيء، أو لا أجداً في هذا العالم يمكنه أن يكون في أمان)، وما أن تكتشفوا على نحو فردي، لا إزاء تعليم الغير، وبعد فهم المشكلة، فسوف ترون أنفسكم خارج حقل التناقض، وبالتالي متحررين من الخوف.

لا أدري فيما إذا كنتم ذات مرة في انسحاب حواسكم للداخل، ففي هذه الحالة من الصمت الداخلي، وعندما تسيرون عبر شارع، ويكون عقلكم هادئاً بالكامل، راصداً، ومصغياً من دون فكر. وبينما يقود أحدكم سيارته في الطريق حيث الأشجار على جانبيه، والسيارات الأخرى التي تعبر، وأنتم ترصدون فقط من دون تعرف، ومن دون أي تدخل لآلية التفكير. لأنه حينما تفعل آلية التفكير هذه أكثر كلما تم

استتفاد العقل، وما من أي فراغ يبقى للبساطة، وفقط العقل البسيط،
والسوي، يمكنه أن يدرك الحقيقة.

16/تموز/1964

الفصل الرابع التغير والتحول

أرى أنه ثمة اختلاف واسع بين التغير والتحول. فمجرد تغيير لا يقود إلى أي شيء. وقد يجعل التغيير الشخص متكيفاً سطحياً، وحاذقاً جداً في التكيف مع الأجواء المختلفة، والظروف الاجتماعية، وتوجد أشكال متعددة من الضغط الداخلي والخارجي للتكيف معها، في حين أن التحول يتطلب حالة عقلية مختلفة جداً.

في هذه الصبيحة، أرغب بأن أوضح إلى الاختلاف بين هذين الشئيين، أي التغير والتحول.

التغيير هو تعديل، إصلاح، استبدال شيء بآخر. يتضمن التغيير فعلاً إرادياً واعياً أو لا واعياً. وباتخاذنا بعين الاعتبار الفوضى، والبؤس، والظلم، والعذاب الموجود في بلدان آسيا النامية كلها، الأمر الذي يجعلنا نحتاج إلى تحول جذري، وثوري. ثمة حاجة ليس فقط إلى تغيير مادي أو اقتصادي، بل أيضاً إلى تحول سيكولوجي - تحول على كل مستويات وجودنا الخارجية والداخلية من أجل تهيئة وجود أفضل للإنسان. وهذا أمر واضح، حتى المحافظين الأكثر تطرفاً يقبلون به. ولكن، بالرغم من أننا نعترف به، عموماً لا نتخذ مسألة التحول وكل ما تحويه بعمق

كاف. أما التعديل، والاستبدال، والإصلاح فهو فعل يشتمل فقط على صقل سطحي "تنظيف"، في أخلاقية العلاقات الإنسانية. أظن أنه يتوجب أن نفهم بملء، ما الذي يتضمنه سياق التغيير هذا قبل أن نتفحص ما اعتبره تحولاً.

ناهيكم عن كون التغيير ضرورياً، يبدو لي أنه سطحي على الدوام. أفهم من خلال "تغيير"، كل حركة فاعلة من خلال الرغبة أو من خلال الإرادة، فكل مبادرة متمركزة على وجهة ما، تشير إلى موقف ما، أو فعل محدد جداً. ومن الواضح أن كل تغيير يكمن وراءه باعث. وهذا الباعث قد يكون شخصياً أو جمعياً، بادٍ للعيان أو بعيد (نأء)، ويمكن أن يكون باعثاً طيباً، وشريفاً، أو باعث عن خوف، وشعور باليأس، ولكن أياً كانت طبيعة أو مستوى الباعث، والمبادرة، أو الحركة الناجمة عن هذا الباعث تقود إلى تغيير ما. وهذا يبدو لي واضحاً. وعموماً نحن حساسون (سريعو التأثر)، فردياً وجمعياً، فنغير مواقفنا تحت التأثير، والضغط، وأيضاً حينما يظهر ابتكار جديد يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في حياتنا. وربما من خلال مقالة صحفية أو من خلال دعاية (بروباغاندا) متشكلة من رأي ما، يمكن أن يحملنا ذلك إلى تغيير أفكارنا، ويوجهنا إلى وجهة مختلفة. وتكرس المؤسسة الدينية قواها في تربيته منذ الطفولة، ضمن عقيدة على شكل ما، وهكذا تشرط عقولنا إلى بقية الحياة، وكل تغيير نقوم به يبقى ضمن حدود "تغييرات" هذه العقيدة.

وهكذا فهم نادرون الذين يتغيرون، ما لم يكن لباعث ما. والباعث قد يكون غيرياً، أو لمصلحة، محدوداً، أو متسعاً، وقد يكون الخوف من خسارة مكافأة، أو عدم بلوغ حالة موعود بها في المستقبل. فالفرد الذي يضعي بنفسه من أجل الجماعة، أو الدولة، أو الإيديولوجيا، أو بشكل محدد من الإيمان بالله، يتضمن هذا كله، تغييراً ما يحدث بشكل واع أو

غير واعٍ. طبعاً فما نسميه تغيّراً، ليس سوى استمرارية للشيء نفسه، ولكن على نحو مُعدّل، وفي هذا التغيّير المفترَض نصبح حاذقين جداً. ونقوم باكتشافات جديدة على نحو متواصل في الفيزياء، والعلم، والرياضيات، مبتكرين أشياء جديدة مهيبين أنفسنا للذهاب إلى القمر، الخ، الخ.

وفي بضعة جوانب نصبح "عارفين" على نحو فائق للعادة، مُطلعين جداً، ويتضمن هذا النوع من التغيّير، قدرة على التكيف للجو الجديد، وللضغوطات الجديدة التي توجد لها. ولكن، هل يكفي هذا؟ يمكننا أن ندرك كل ما يحدد هذه الكيفية السطحية للتغيّير. في حين أننا نتعلم داخلياً بعمق أنه من الضرورة بمكان حدوث تحول جذري، تحول غير ناجم عن أي باعث أو كنتيجة للضغط. وندرك الحاجة للتحول في جذر العقل نفسه. ذلك أننا من دون هذا التحول فسوف نكون قبيلة من القردة الحاذقة، موهوبين بقدرات فائقة للعادة، ولا نكون كائنات إنسانية حقيقية.

وبإدراكنا لهذا بعمق في أنفسنا، وما الذي يتوجب علينا أن نفعله؟ نرى أن الأمر يحتاج إلى تغيير ثوري، أو إن صح التعبير إلى تحول كامل في الجذر نفسه لوجودنا، وإلا بالعكس فمشاكلنا سواء الاقتصادية أم الاجتماعية سوف تزداد على نحو لا يمكن تجنبه، وأن نصبح كل مرة أكثر إرباكاً. فالأمر يحتاج إلى عقل جديد، وحديث العهد، وغض، وكى نحصل عليه، يجب أن يفعل في كلاًّنا وعينا تحول ليس ناجماً عن فعل إرادي، وبالتالي، من دون باعث.

لا أدري إن كنتُ أعبرُ بوضوح.

بإدراك الحاجة للتغيّير، يستطيع الشخص أن يوظّف الفعل الإرادي من أجل تحقيق هذا التغيّير، ويكونه "فعلاً إرادياً" فالرغبة المحصّنة

ضمن وجهة معينة عن عمد، والموضوعة في حركة من خلال الفكر، والخوف، والثورة. ولكن كل تغيير لهذا النظام - تغيير ناجم عن فعل الرغبة والإرادة - هو محدود على الدوام... إنه "استمرارية معدّلة" لما كان قبلاً، كما يمكن رؤية ما يجري في العالم الشيوعي، وفي البلدان الرأسمالية أيضاً. فالأمر يحتاج إذاً إلى ثورة فائقة للعادة، ثورة سيكولوجية في أعماق الكائن الإنساني، وفي الإنسان نفسه، ولكن إذا كان لديه هدف، وفي حال كانت ثورته مخططاً لها، فنحن هنا لا زلنا ضمن نطاق "المعلوم"، وبالتالي، فالأمر لا يشكل أي تغيير.

وأنا أستطيع التغيير، وبوسعي إجبار نفسي على التفكير بطريقة أخرى، وتبني منظومة عقائدية مختلفة، وقد أقوم بإلغاء عادة ما، وأحرر نفسي من الانتماء القومي، وأصلح عقلانيتي، وأن أعمل أنا نفسي بـ"غسيل دماغ" عوضاً عن ترك هذا العمل لحزب سياسي أو كنيسة. وتغيرات كهذه تكون سهلة جداً في أن تفعل في نفسي، ولكنني أدرك عدم جدواها كلياً لظالما أنها سطحية، ولا تقود إلى فهم حقيقي يتوجب أن يوجّهنا في الحياة. والحال هذه، ما العمل؟

إذا ما قمتُ بمجهود للتغيير، فهذا المجهود لديه باعث، مما يعني ذلك بأن الرغبة، تبتدئ حركة في وجهة ما. ومن ثمّ ندخل في فعل إرادي، وعلى هذا، فأني تغيير قد تم إحداثه ليس سوى تعديل بسيط، وليس تحولاً حقيقياً بالمطلق.

أرى بوضوح أنني أحتاج للتغيير، وأن هذا التغيير يجب أن يحدث من دون مجهود. وكل مجهود من أجل التغيير يلغي نفسه بنفسه، وذات مرة يفترض الأمر فعل الرغبة، والإرادة، في امتثال لنموذج أو طريقة أو مفهوم مُرسخ مسبقاً. والحال هذه ما العمل؟

لا أدري إذا ما شعرتم مثلي بأهمية هذا السؤال، وكم يهمنا، ليس

فقط بالمعنى الفكري، وإنما بشكل رئيسي، كعامل جوهري في حياتنا . منذ ملايين السنين والإنسان يقوم بمجهود لا يتوقف من أجل التغيير في حين يستمر محاطاً بالعذابات، والشعور باليأس، والخوف، وفقط يتمتع بلحظات من الفرح، والمتعة النادرة والهارية . وكيف تستطيع هذه الكينونة التي تم إشراتها بقوة منذ وقت طويل، أن تتخلص من حمولتها من دون أي مجهود؟ وهذا هو السؤال الذي نوجهه لأنفسنا، أما "رمي الحمولة خارجاً" فلا يجب أن يصبح مشكلة إضافية، لأنني كما أشرتُ آنفاً، فالمشكلة هي شيء لا نفهمه، شيء ليست لدينا القدرة على تفحصه حتى النهاية، وتصفيته مباشرة.

لإحداث هذا التحول "إحداث" وهذا ليس تعبيراً خاطئاً، فالتحول هو حاجة، ويجب أن تتحقق الآن. وبإدخالنا الزمن كعامل للتغيير، فالزمن يوجد المشكلة. وليس ثمة غدٌ، وليس ثمة أي زمن حيث سأتغير فيه، كون الزمن فكراً. فهذا الأمر يجب أن يحدث الآن، أو لن يحدث إطلاقاً. هل الأمر واضح؟

أدرك الحاجة لهذا التحول الجذري في ككائن إنساني، جزء مُندمج مع الإنسانية، وأدرك أيضاً أن الزمن الذي هو فكر لا يجب أن يمثل عاملاً في ذلك. ولا يجب على الفكر أن يمثل عاملاً في هذا الصدد. فالفكر لا يمكنه حل هذه المشكلة، اعتمدنا على الفكر عبر آلاف السنين، ومع ذلك لم أتغير، وأستمر بعاداتي، وبالبخل، وبالحسد، وبالمخاوف، وأراني أيضاً متورطاً ضمن نموذج قائم على تنافس على الوجود. والفكر هو الذي أوجد النموذج، إذ لا يستطيع الفكر تحت أي ظرف كان، تعديل هذا النموذج من دون إيجاد نموذج آخر، لكون الفكر زمناً. وبالتالي، لا أستطيع الاعتماد على الفكر كزمن، كي أحدث التحول، التحول الجذري. كما لا أستطيع امتلاك تمرين للإرادة، ولا يمكن ترك الفكر أن

يوجه التحول.

ما الذي يبقى إذا؟ أرى أن الرغبة التي هي وجه من وجوه الإرادة، لا يمكنها إحداث تحول حقيقي في. وقد اشتغل الإنسان على هذا الموضوع منذ عدة قرون، ولم يحقق أي تحول أساسي. استخدم أيضاً الفكر كي ينتج تغييراً في ذاته نفسها، والفكر باعتباره زمناً، والفكر على أنه ضد، بكل متطلباته، وابتكاراته، وضغوطاته، وتأثيراته، وكما نرى، أيضاً لم يوجد أي تحول جذري. فما العمل إذا؟

والحال هذه، ذات مرة، تفهم البنية وحركة الإرادة في كلها، إذاك تكف هذه عن النشاط، ويادراكنا لتوظيف الفكر والزمن، كوسيلة للتغيير، وعلى أنهما ليسا سوى مجرد تأجيل، إذاك ينتهي سياق التفكير. ولكن، ما الذي نريد قوله عند قولنا إننا أدركنا أو فهمنا شيئاً؟ وهل الفهم هو مجرد فعل فكري، ولفظي، أو يعني أنه يرى شيئاً كواقع؟ أستطيع القول "أفهم"، ولكن الكلمة ليست هي الشيء الحقيقي. فالفهم الفكري لمشكلة ليس هو الحل لهذه المشكلة. وعند فهمنا لشيء لفظياً فقط (وهذا ما ندعوه فهماً فكرياً) والكلمة هنا تهم جداً، ولكن بحصول فهم حقيقي، فذاك الفهم الفكري يفقد الأهمية كلها، باعتباره واسطة بسيطة للتواصل، ففي الفهم الحقيقي ثمة اتصال مباشر مع الواقع على أنه حقيقة. إذا ما أدركنا على أنه واقع بطلان الإرادة، وأيضاً بطلان الفكر أو الزمن، وعدم جدواهما في إحداث هذا التحول الجذري، إذاك فالعقل الذي رفض البنية كلها للإرادة والفكر، يدرك أنه ما من أي واسطة أو وسيلة لديها القدرة على ابتداء الفعل.

حسناً، حتى الآن، أنا وأنتم في حالة تواصل، ولربما قد رسخنا أيضاً بين بعضنا بعضاً وصلاً ما (شعوراً بالوحدة). ولكن، قبل أن نتابع، أعتبر من الأهمية بمكان فهم ما نسمعه من كلمة "وصال". إذا ما سرتم ذات

مرة بين أشجار غابة، أو عبر ضفة نهر، وشعرتم بالسكينة، وبأنكم تحيون كاملاً مع الأشياء كلها، مع الحجارة، ومع الورد، ومع النهر، ومع الأشجار، ومع السماء، فسوف تعرفون ما هو "الوصال"، قال "أنا" مع أفكاره وأشواقه، وملذاته، وذكرياته، ومشاعره باليأس، قد انتهى بالكامل. لن يوجد كراصد منفصل عن الشيء المرصود، وثمة فقط تلك الحالة من الوصال الكامل. أمل أن يكون هذا الوصال ههنا مرسخاً في ما بيننا. وهو ليس بحالة تنويم مغناطيسي، فالمحاضر لا يقوم بتتويمكم مغناطيسياً كي يضعكم في تلك الحالة من الوصال. لقد فسرّ بضعة أشياء بكل حرص، ولكن ثمة شيئاً بعد، لا يمكن تفسيره لفظياً. وحتى نقطة ما بوسعكم أن تكونوا مطلعين من خلال كلمات المحاضر، ولكن في الوقت نفسه يكفي أن تكونوا مدركين في عقولكم بأن الكلمة ليست الشيء، وأنها لا ينبغي أن تتدخل في الإدراك المباشر للواقع. لما تشعرون بوحدتكم مع شجرة - إذا ما شعرتم بذلك ذات مرة - فإن عقلكم لن يكون مشغولاً بصنف هذه الشجرة، أو بخصوص فائدتها أو عدم فائدتها. فأنتم في وصال مباشر مع الشجرة، وعلى نحوٍ مشابه، يتوجب ترسيخ هذه الحالة من وحدة الشعور في ما بينكم وبين المحاضر، لأننا سوف ننتقل الآن إلى موضوع من المواضيع الأكثر صعوبة في التطرق إليها على مستوى الكلمات.

كما قيل، فالفعل الإرادي، والفعل الفكري إنهما زمن، والحركة التي تبتدئ من خلال تأثير أو ضغط من أي طبيعة، فهذا كله يتوقف. وبالتالي فالعقل الذي رصد بالواقع، وفهم هذا كله، يكون ساكناً بالكامل. وعقل كهذا لا يكون مبتدئاً لأي حركة واعية أو لا واعية. وهذا أيضاً عبارة عن شيء يجب أخذه بعين الاعتبار قبل أن نتمكن من الذهاب أكثر بعداً بعض الشيء.

وسوف تستطيعون على نحوٍ واعٍ ألا ترغبون بأن تفعلوا تجاه أي وجهة محدّدة، لأنكم قد رصدتم بطلان كل صنف من تغيير محسوب، وتغيير مثار من خلال الشيوعي أو من خلال المحافظ الأكثر رجعية. ترون أن هذا كله باطل. ولكنكم داخلياً، وعلى نحوٍ لا واعٍ ثمة عبء هائل من الماضي يدفعنا نحو وجهة معينة، ويجعلكم مشروطين كأوروبيين أو كمسيحيين، أو كعلماء، أو كرياضيين، أو كفنانيين، أو كتقنيين، وثمة الموروث الألفي (المُعلن عنه بتعصب كبير من قِبَل الكنيسة) الأمر الذي انغرس في اللاوعي لبضعة عقائد وقوانين إيمان، قد ترفضون هذا كله على نحوٍ واعٍ، أو على نحوٍ لا واعٍ، ويستمر بالوجود عبء ذلك كله بالوجود. فأنتم لا تزالون مسيحيين، وبريطانيين، وألمان، وفرنسيين، ولا تزالون أيضاً متحركين من خلال مصالح قومية، واقتصادية، وعائلية، ومن خلال موارث السلالة التي تنتمون إليها، ولما يتعلق الأمر بسلالة قديمة جداً، فإن تأثيرها يكون أكثر عمقاً أيضاً.

والحال هذه، كيف نلغي هذا كله؟ كيف ننقي اللاوعي حالاً من الماضي كله؟ يعتقد المحللون أن اللاوعي يمكن تطهيره جزئياً أو كلياً، بواسطة المحلل عن طريق التقصي، والاستكشاف، والاعتراف، وتفسير الأحلام، الخ. على نحوٍ أن أي واحد يمكنه أن يصبح على الأقل كائناً إنسانياً "طبيعياً"، قادراً على التكيف مع الوسط المحيط الحالي، ولكن في التحليل، ثمة دائماً المحلل، والشيء الذي يحلّله، راصد يفسّر الشيء المرصود، وهذا يمثل ثنائية هي أساس الصراع.

على ما أرى أن مجرد تحليل اللاوعي لا يقود إلى أي مكان. قد يساعد المرء أن يكون أقل عصابية، ومحبوب أكثر من قِبَل زوجته، أو قريبه، أو أمر سطحي آخر مشابه لما ذكرناه، ولكن ليس هذا ما نحن في صدد الكلام عنه. أدرك أن السياق التحليلي (الذي يتضمن زمناً،

وتفسيراً، وحركة للفكر الذي يحلل، كراصد، وشيء مرصود) لا يمكن تحرير اللاوعي، وبالنتيجة، أنا أرفض بالكامل السياق التحليلي. وما إن أدرك هذا الواقع الذي لا يستطيع التحليل في أي ظرف كان إبعاد عبء اللاوعي خارجاً عبر التحليل. وبالتالي فأنا لا أحلل. إذا ما الذي يحصل؟ بعدم تواجد محلل منفصل عن الشيء المُحلَّل، فالمحلل نفسه يكون هذا الشيء. وليس كينونة على حدة. يُكتشفُ إذاك أن اللاوعي أمر قليل الأهمية، هل تدركون ذلك؟

كنتُ أظهر كم هو عديم الأهمية الوعي بنشاطاته السطحية، وثرثرته المستمرة، الخ. واللاوعي هو الآخر عديم الأهمية أيضاً، فاللاوعي مثل الوعي، فقط يصبح هاماً عندما يعطيه الفكر استمرارية. والفكر لديه مكانه الخاص، فائدته في المواضيع التقنية، الخ. ولكن الفكر هو من الكل وفي الكل عديم الجدوى، لما يتطرق لإحداث تحول جذري. إذا ما تم إدراك الفكر على أنه هو الذي يعطي استمرارية للمفكر، فهذه الاستمرارية تنتهي.

أمل أنكم تتابعون ما أقوله، فالأمر يتطلب انتباهاً.

الوعي أو اللاوعي لا يعنيان الشيء الكثير، فهما يصبحان هاميين فقط عندما يمنحهما الفكر استمرارية. وعند إدراككم للحقيقة بأن كل "سياق التفكير" هو ارتجاع للماضي، ولا يستطيع بحال من الأحوال أن يستجيب للحاجة العظمى للتحول، إذاك سواءً الوعي أم اللاوعي، فكلاهما يفقدان الأهمية كلها، ويكف العقل عن التأثر أو حثه من خلال واحد من الاثنين، وبالتالي، ما من أي مبادرة يتم اتخاذها، ويبقى ساكناً بالكامل، وهادئاً، وصامتاً. وعلى هذا فهو واعٍ للحاجة للتغيير والثورة والتحول الكامل والجذري لوجودنا، ولا يبتدئ العقل بأي حركة في أي وجهة، وفي هذا الإدراك الكلي، وفي هذا الصمت التام، يحدث التحول.

التحول إذاً فقط يمكن أن يتحقق بطريقة غير "موجهة" أي حينما لا يبتدئ العقل بأي حركة، وبالتالي يظل هادئاً بالكامل. وفي هذه الهدوءية ثمة تحول، لأن جذر العقل قد طرأ عليه تحول عميق. وهذه هي الثورة الوحيدة حقيقية (وليست الثورة الاقتصادية أو الاجتماعية) ولا يمكن القيام بها من خلال الإرادة أو من خلال الفكر. و فقط في تلك الحالة من التحول، يمكن إدراك اللامحدود، شيء من المطلق، يعلو على كل تكنولوجيا، وكل تعرف.

أمل أنكم لم تناموا بعد، هل تريدون توجيه أسئلة؟

سؤال: حيثما اخترت، فالفكر يدينني بالشعور بالعزلة، لأنه يعيقني عن الشعور بالوحدة مع الأشياء التي تحيطني، وعلى النفاذ إلى جذر وجودي، وبالنتيجة، أتساءل: لماذا تفكر الكائنات الإنسانية. وما هي وظيفة الفكر؟ ولماذا يبالغون كثيراً في إضفاء الأهمية على التفكير؟

كريشنا مورتى: أن تصغي إلى شرح فقط، فهذا الأمر ليس برؤية للواقع، ولا نستطيع أن نكون في شعور بالوحدة (وصال) بواسطة شرح إلا إذا رأى كلانا الواقع ولمسه، أي نمتنع عن التدخل فيه. إذاً نكون أيضاً في وصال مع الواقع. ولكن إذا فسّرنا الواقع بطريقة، وأنا أفسره بطريقة مختلفة، فلن نكون في وصال لا مع الواقع ولا في ما بيننا.

والحال هذه، كيف ينبثق الفكر، الفكر الذي يعزل، ولا يمنح حباً، ولا الشعور بالوصال؟ كيف يمكن لهذا الفكر أن ينتهي؟ الفكر، وآلية الفكر كلها لا بد لها أن تُفهم، وتكمن في هذا الفهم نفسه نهاية الفكر. لتفحص ذلك.

ينبثق الفكر، كارتجاع (رد فعل)، عندما يكون هناك "تحد". وإن لم يتواجد أي تحد، فأنتم لن تفكروا. قد يمتلك التحدي شكل سؤال عديم الأهمية أو هام، ووفقاً للسؤال فإننا "نستجيب". وفي الفاصل الزمني بين

السؤال والإجابة، يبدأ سياق الفكر، أو ليس حقيقة؟ إذا ما سألتموني شيئاً ما أنا متآلف جداً معه، فإن إجابتي تكون حالية. وفي حال سألتموني أين أسكن على سبيل المثال، فلن يكون هناك فاصل زمني، وأجيب حالاً. ولكن، إن كان سؤالكم أكثر تعقيداً، فسوف يكون هناك فاصل (خلاله أبحث عن إجابة من خلال الذاكرة) بين سؤالكم وبين إجابتي. وبمقدوركم أن تسألوني ما هي المسافة بين الأرض والقمر، فأقول: "لعلني أعرف شيئاً ما بهذا الخصوص؟ أه! لقد تذكرت...". وإذا كان أجيب. بين سؤالكم وإجابتي ثمة فاصل زمني، حيث تفعل الذاكرة خلاله، مقدّمة إجابة في نهاية الأمر. وهكذا، حينما أكون "في وضع تحد"، فإن "إجابتي" قد تكون حالية، أو قد تحتاج إلى بعض من الوقت. وإذا ما سألتموني أمراً بشأن ما لا أعرفه، فسوف يكون الفاصل أكثر طولاً. فأقول: "لا أعلم، ولكن سوف أتقصي الموضوع"، وبعدم عثوري على إجابة بين الأشياء المحفوظة في الذاكرة، أو من خلال أحد ما من أجل الحصول على المعلومة، أو أبحث عنها في كتاب. وأيضاً هنا، وخلال هذا الفاصل الطويل، فإن "سياق الفكر، يكون في فعل. وهذه المراحل الثلاث مألوفة لنا جداً.

طبعاً، فهناك حالة رابعة ربما تجهلون وجودها، وهي التالي: توجهون لي سؤالاً، وأنا لا أعلم بالفعل ما هي الإجابة. فذاكرتي ليس لديها سجل بها، وأنا لا أعلم أن شخصاً آخر بوسعه إعطائي الإجابة. وليس لدي أي إجابة، ولا أي توقع. وبالنتيجة، فأنا لا أعلم. ليس ثمة فاصل زمني، وبالتالي، فليس ثمة فكر، لأن العقل ليس في صدد البحث عن شيء، ولا ينتظر شيئاً. وهذه الحالة هي بالنتيجة، رفض تام، حالة حرة من كل الأشياء التي يعرفها العقل. وإذا كان فقط، فالجديد يمكن فهمه، كون الجديد هو المطلق أو أي كلمة تفضلونها في هذه الحالة، يتوقف السياق

كله للتفكير، وليس ثمة راصد، ولا شيئاً مرصوداً، ليس ثمة مجرب، ولا شيئاً مجرباً، لقد توقفت كل تجربة، وفي هذا الصمت الكلي، ثمة تحول تام.

19/تموز/1964

الفصل الخامس

فهم الخوف

إذا ما سمحتم لي، فأنا أرغب في أن أتكلم هذه الصبيحة عن موضوع يبدو لي أنه هام جداً. والأمر لا يتعلق بأي فكرة، أو مفهوم، أو طريقة كي توضع في ميدان الممارسة، لأن المفاهيم، والطرق، والأفكار، تعيق بالفعل فهم الوقائع على ما هي عليه. وكي "أفهم واقعاً" عليّ أن أفهم ما يُرصد من نشاط، وحركة فكر أو شعور، وإدراك معناه في لحظة الفعل. إنما إدراك واقع على ما هو عليه، يجب تفصيله في لحظة الفعل نفسه، وإن لم نفهم الوقائع بعمق، فسوف يلاحقنا الخوف دوماً.

أظن أننا جميعاً نكاد نحمل هذا العبء الهائل للخوف، واعٍ كان أو غير واع. وفي هذه الصبيحة، أرغب بتفحص هذه المشكلة معكم، وكي نرى فيما إذا كنا نستطيع إيقاظ فهم كلي للخوف، الأمر الذي يتسبب في ذوبانه الكامل، على نحو أننا ما إن نخرج من ههنا، نكون حقيقة وفعالاً قد تحررنا من الخوف. وبناء على ذلك، أسمح لنفسني أن أقترح عليكم بأن تصغوا بهدوء، من دون أن تدخلوا في جدال داخلي معي. سوف نبرهن، ونتبادل الكلمات، وسوف نحول بعد قليل أفكارنا ومشاعرنا إلى كلمات. ولكن على أن نظل نصغي بمعنى ما سلبياً، أي بحيادية كلية في

فعل الإصغاء . فلتصفوا فقط، ذلك أنني أعمل على إيصال شيء ما إليكم، في حين أنكم لن توصلوا لي شيئاً . وكما يفهم ما أريد نقله إليكم، ما عليكم إلا بالإصغاء، وفي فعل الإصغاء نفسه، سوف تتوفر إمكانية الشعور بالوحدة مع المحاضر .

لسوء الحظ، إن معظمنا عاجز عن هذا الإصغاء السلبي الصامت، ليس هنا فقط، بل أيضاً في وجودكم من يوم إلى يوم . لما نخرج في نزهة، فإننا لا نصغي للطيور، ولا إلى حفيف ورق الأشجار، ولا إلى همسات النهر وهو يتدفق، ولا نصغي للجبال، ولا إلى السموات البعيدة . وكما نكون في حالة وصال مباشر مع الطبيعة، ومع الأشخاص الآخرين، يجب أن نصغي، و فقط بإمكانكم أن تصفوا عندما تكونون صامتين سلباً، أي أن تصفوا من دون مجهود، ومن دون نشاط عقلي، ومن دون تحويل السياق إلى كلمات تعبر عنه، ومن دون حاجة للبرهان والجدل .

لا أدري فيما إذا اختبرتم ذات مرة "الإصغاء" على نحو تام لزواجكم أو لزوجكم، أو لأبنائكم، أو للسيارة التي تمر أمامكم، ولحركة أفكاركم ومشاعركم خاصتكم . ففي هذا الإصغاء، لا يوجد أي فعل، ولا أي تعمد، ولا أي تسويغ، وهذا الفعل للإصغاء يقود إلى ثورة هائلة في جذر العقل نفسه .

ولكننا، لسنا معتادين على الإصغاء بشكل عام . وفي حال أصغينا لشيء معاكس لتفكيرنا الاعتيادي، أو إن هوجمت واحدة من أفكارنا المفضلة، فإننا ننفعل بشكل كبير . لدينا "خيارات مكتسبة" من خلال بضعة أفكار وأفكار، على النحو نفسه الذي يكون لدينا فيه ملكيات (أملاك مادية)، ففي وجودنا نفسه ومعارفنا، وحينما نرى تفنيد أي شيء من هذه التي لدينا، فإننا نفقد التوازن والهدوء، ونقاوم كل ما قيل . والحال هذه، إذا ما رغبتكم فعلاً بالإصغاء في هذه الصبيحة لما يُقال،

إصغاء من دون اختيار، وإدراك يقظ، يكفي اتباع المحاضر، ليس لفظياً - أي من دون تحليل كثير التفكير - وبالتالي، فإنكم تتحركون بانسجام مع المعنى التجاوزي للكلمة. وهذا لا يعني أن نضع أنفسنا في حالة نوم، أو نعثر على أنفسنا في حالة طوباوية من العاطفية بسبب "الأننا"، بل على العكس، فالإصغاء يتطلب انتباهاً تاماً، ليس بتركيز. فهذان الأمران مختلفان كلياً. إن أصغيتم بانتباه، لربما نستطيع - أنا وأنتم - بلوغ تلك الأعماق الهائلة حيث يتم العثور على المبدأ الخلاق. وهذا بدون أدنى شك أمر جوهري لأن العقل سطحي، وقلق، ومشغول دائماً بالمشاكل المتعددة، فهو لن يتمكن من فهم الخوف، واحد من الأمور الأساسية في الحياة. وفي حال لم نفهم الخوف، فلن يتواجد أي حب، ولن يوجد فعل خلاق، ليس بفعل إبداع، بل تلك الحالة من الفعل الخلاق الأزلي الذي لا يمكن التعبير عنه بكلمات ولوحات وكتب.

إذاً ينبغي علينا أن نكون متحررين من الخوف. فالخوف ليس تجريداً، ولا كلمة بسيطة، فضلاً عن أن الكلمة بالنسبة لأغليبتنا تلعب دوراً أهم من الواقع. لا أدري إذا ما راودتكم الفكرة في أن تحرروا أنفسكم من الخوف كلياً وبالكامل. وهذا الأمر يمكن فعله بطريقة كاملة جداً لدرجة لا يتواجد فيها بعد أي "ظل" للخوف، لأن العقل سيكون دائماً أمام الواقع. أي عوضاً عن الانشغال بالخوف ومحاولة التغلب عليه بعدما يظهر، فيكون العقل أمامه، وبالنتيجة يكون حراً منه.

كي نفهم الخوف، يكفي تفحص مسألة المقارنة. لماذا نعمل على المقارنة؟ على المستوى التقني تُظهر المقارنة تقدماً، الأمر الذي يكون نسبياً. منذ خمسين عاماً لم يكن هناك قبلة ذرية، ولم تكن توجد طائرات تفوق سرعة الصوت، ولكننا الآن نمتلك هذه الأشياء. وبعد خمسين عاماً اعتباراً من الآن، فسوف نملك أشياء أخرى لم نكن نملكها

حالياً. وهذا ما ندعوه تقدماً، الأمر الذي هو دائماً مقارن، ونسبي، وعقلنا واقع في شبكة من التفكير على هذه الطريقة. ليس فقط "خارجياً" على ما يُقال، بل أيضاً "داخلياً"، في البنية السيكولوجية لوجودنا، إننا نفكر على نحو مقارن. نقول "أنا هذا، كنت ذلك، وسأكون مختلفاً في المستقبل". وهذا التفكير المقارن ندعوه تقدماً، وتطوراً، وسلوكنا كله، الأخلاقي، والأدبي، والديني ضمن العلاقات المهنية والاجتماعية تتأسس عليه. نرصد أنفسنا على نحو مقارن بخصوص مجتمع هو نتاج هذا الصراع المقارن نفسه.

والحال هذه، فالمقارنة تولد الخوف. ارصدوا هذا الواقع في أنفسكم ذاتها. فأنا أرغب في أن أصير أفضل كاتب، أو شخص هو الأكثر جمالاً وذكاءً. وأرغب بامتلاك معرفة أكثر من الغير، وأرغب أن يكون لدي نجاح كبير، وأصبح شخصاً هاماً، وأن أكون الشخص الأكثر شهرة في العالم. النجاح والشهرة هما سيكولوجياً وجهان لعملة واحدة هي "المقارنة" التي تدفعنا بشكل متواصل لإيجاد الخوف. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالمقارنة تؤدي أيضاً إلى ولادة الصراع، الأمر الذي يُعتبر شيء موقر جداً. ففي شعوركم يتوجب أن تكونوا في تنافس لكي تستطيعوا البقاء على قيد الحياة في هذا العالم، وهكذا تقارنون، وتتنافسون على الصفقات، وضمن العائلة الواحدة، وفي المواضيع التي ندعوها دينية. أنتم تحتاجون أن تبلغوا السماء لكي تجلسوا إلى جانب يسوع، أو أي شيء كان، مخلصكم الخاص. إن روح التنافس تتعكس في خوري الرعية الذي يبتغي أن يصبح رئيس الأساقفة، كاردينال، وفي النهاية البابا. ونغرس هذه الروح التنافسية نفسها عند الآخرين باجتهد خلال حياتنا، مصارعين لكي نجعل أنفسنا أفضل أو من أجل أن نبلغ مكانة أكثر رقياً من الآخر. بنيتنا الاجتماعية والأخلاقية تتأسس على هذا

كله. إذًا، ثمة في حياتنا هذه الحالة المتواصلة من المقارنة والتنافس والصراع المستمر كي نصير أحداً ما. وأفترض أن جذر الخوف يكمن وهنا، لطالما يقود للشعور بالحسد والغيرة والأحقاد. وحيث يوجد الحقد، فلن يكون هناك حب، الأمر الذي يجعل الخوف يتكاثر.

كما قلتُ، اصغوا فقط. لا تتساءلوا: كيف أستطيع التوقف عن المقارنة؟ وماذا يجب أن أفعل لكي أتوصل لذلك؟ لا شيء بمقدوركم أن تفعلوه لكي تنهوا المقارنة. وإذا ما فعلتم شيئاً من هذا القبيل فإن فعلكم سيكون صادراً أيضاً من المقارنة. ما بوسعكم أن تقوموا به هو فقط الإدراك بأن هذا الشيء المعقد الذي يدعى وجودنا هو صراع "مقارن"، وإن حاولتم أن تنشطوا بشكل معاكس له وحاولتم تعديله، ترون ذاتكم مجدداً تستحوذ عليها روح التنافس، "المقارن". والمهم هو أن تصغوا من دون أي تشويه لما تصغون إليه، أو ترغبون القيام بشيء بخصوصه.

إذًا، برؤيتنا للتشابكات، ومعنى هذا التقييم المقارن للحياة، ووهم التفكير بأن المقارنة تؤدي للفهم، مقارنة الأعمال لرسامين، أو لكاتبين، مقارنة للذات نفسها مع آخر أقل ذكاء، وأقل فاعلية وأكثر جمالاً، الخ، الخ. وهل يمكن العيش في هذا العالم سواءً الخارجي أم الداخلي، من دون مقارنة؟ تدركون حالة العقل الذي يقارن على الدوام - التعرف عليه كواقع، و"ترك النفس تبقى" مع هذا الواقع - فهذا يقتضي انتباهاً كبيراً. ويؤدي هذا الانتباه إلى انضباط خاص، الأمر الذي هو مرناً للغاية، وليس لديه نموذج، وليس بإلزام، وليس بفعل سيطرة، وإخضاع، ولا إنكاراً. في الأمل بفهم أفضل لمسألة الخوف.

وهذا الموقف إزاء الحياة، المؤسس على المقارنة، هو واحد من العوامل الأساسية لإفساد العقل، ألا تظنون؟ يفترض إفساد العقل إنهاكاً، وانعداماً لرهافة الإحساس، وانحطاطاً، وبالتالي حرمان تام من الذكاء.

فالجسد يتلف تدريجياً لأننا سوف نبلغ الشيخوخة، ولكن العقل أيضاً يُفسد، وسبب هذا الإفساد يكمن في المقارنة، والصراع، والمجهود "التنافسي". يشبه العقل محركاً يعمل باحتكاك مفرط: لا يمكنه العمل على نحو لائق وأثناء عمله يعطب بسرعة.

كما رأينا، المقارنة، والصراع، والتنافس، لا يضرّون فحسب، بل أيضاً يتسبّبون بالخوف، وحيث ثمة خوف، وثمة ظلام، لا يوجد حنان، ولا فهماً، ولا حباً.

حسناً، إذًا، ما هو الخوف؟ هل حصل ذات مرة أنكم وجدتم أنفسكم وجهاً لوجه مع الخوف، أو فقط مع فكرة الخوف؟ ثمة اختلاف بين هذين الأمرين، أوليس كذلك؟ فالواقع الحقيقي - الخوف - والفكرة عن الخوف هما أمران مختلفان كلياً. وعموماً، نجد أنفسنا واقعين في شبكة الفكرة عن الخوف، ضمن رأي، وفي حكم، وفي تقييم عن الخوف، ولا نجد أنفسنا إطلاقاً على اتصال مع الواقع الحقيقي، أي الخوف في حد ذاته. فهذا يحتاج لفهم على نحو عميق وواسع.

على سبيل المثال، أعاني خوفاً من الثعابين، ورأيت ذات يوم ثعباناً أخافني، بقيت هذه الخبرة في العقل على أنها ذاكرة. ولما أخرج مساءً في نزهة فهذه الذكرى تنشط، فأشعر بخوف من أن ألتقي بثعبان، وعلى هذا النحو فإن فكرة الخوف تصبح أكثر حيوية، وأكثر قدرة من الواقع ذاته. وماذا يعني ذلك؟ لسنا على اتصال بالخوف إطلاقاً، وإنما فقط مع الفكرة عن الخوف. ارصدوا هذا الواقع في داخلكم. ولا يمكن إبعاد الفكرة على نحو سطحي. قد تقولون: "سأحاول مواجهة الخوف من دون الفكرة"، ولكن هذا أمر غير ممكن. والآن، إذا ما أدركتم فعلاً أن الذاكرة، والقدرة على تحويل الأشياء إلى أفكار يحتفظ فيها العقل، بأنها تعيقكم عن الوصال مع الواقع - واقع الخوف، والغيرة، وواقع الموت -

فتترسخُ إذاك علاقة مختلفة بالكامل بينكم وبين الواقع.

بالنسبة لمعلمنا، فالفكرة أهم بكثير من الفعل. لا نتصرف إطلاقاً بشكل كامل. إننا نحدُ دوماً الفعل بالفكرة، مكيفين أو مسوِّخين الفعل بالتوافق مع طريقة، أو مفهوم، وبالنتيجة ليس ثمة أي فعل، أو قبلاً فالفعل غير كامل لدرجة أنه توجد مشاكل. ولكن، ذات مرة يُفهم فيها هذا الواقع الفائق للعادة، ويصبح الفعل شيئاً أساسياً إجمالاً نظراً لكونه لا يتطابق مع فكرة.

ليس الخوف تجريداً، فهو دائماً على علاقة مع شيء ما. فأنا أخشى الموت، وأخشى الرأي العام، وأخاف ألا أصبح محبوباً، وشعبياً، وأخاف ألا أحقق شيئاً، الخ. كلمة "خوف" ليست الواقع، فهي فقط رمز يمثله، وبالنسبة لمعلمنا فالرمز بالمعنى الديني أو في أي شيء آخر هو أكثر أهمية من الواقع نفسه. والحال هذه، هل يمكن للعقل أن يحرر نفسه من الكلمة، ومن الرمز، ومن الفكرة، ويرصد الواقع، الشيء الموجود، من دون تفسير، ومن دون أن يقول: "أحتاج للنظر إليه"، ومن دون أن يكون هناك أي فكرة حول الأمر؟ إذا ما واجهنا الواقع، الحقيقة. برأي حوله، فإننا نخدع أنفسنا فقط بأفكار، أوليس حقيقة؟ وبالتالي، فهذا أمر هام جداً كي يُفهم: لما أنظر واقعاً من خلال فكرة، فليس ثمة أي تواصل مع الواقع. وإذا ما أردتُ أن أدخل في وصال مع الواقع، إذاك يجب على الفكرة أن تزول بالكامل. إذاً، نتابع اعتباراً من هذه النقطة كي نرى إلى أين تقودنا.

ثمة الواقع في أنكم تهابون الموت، وتخشون مما سيقوله أحد ما بحقكم، وتخافون "دزينات" من الأشياء الأخرى. والحال هذه، عندما لا تنظرون إلى هذا الواقع من خلال فكرة، أو نتيجة، أو مفهوم، أو من خلال ذاكرة، فما الذي يحدث فعلاً؟ في الدرجة الأولى، ليس ثمة

انفصال بين الراصد والمرصود، فـ"الأنا" ليس منفصلاً عن هذا الشيء. لقد تم إلغاء سبب الانفصال، وبالنتيجة تجدون أنفسكم في علاقة مباشرة مع ما تدعونه "خوف". "الأنا" مع آرائه، وأفكاره، وأحكامه، وتقييماته، ومفاهيمه، وذاكراته، فهذا كله غائب، وفقط هناك ذلك الشيء.

في الحقيقة، ما نقوم به هو أمر صعب، فهو ليس مجرد لهو صباحي. أشعر أنه ممكن لشخص أن يخرج من هذه الخيمة في هذا الصباح متحرراً من الخوف بالعمق وبالكامل، وإذا كان يكون هذا الشخص كائناً إنسانياً حقيقياً.

إذا، أنتم الآن وجهاً لوجه مع الواقع: الإحساس أو إدراك ما تدعونه "خوفاً"، الأمر الذي يتم حصوله من خلال فكرة. فأنتم تخافون من الموت (أخذ هذا الأمر فقط كمثال) اعتيادياً، تعتبرون الموت مجرد فكرة، وليس واقعاً. الواقع يتمثل لكم فقط عندما تكونون موشكين على الموت. تسمعون عن موت أشخاص آخرين، وتدركون أنكم أنتم أيضاً سوف تموتون يصبح الأمر مجرد فكرة مؤلدة للخوف. تنظرون للواقع من خلال الفكرة، الأمر الذي يعيقكم عن الاتصال المباشر مع الواقع. ثمة فاصل بين الراصد والشيء المرصود. وفي هذا الفاصل ينبثق الفكر، على أنه "فكر" - سياق تحويل الأشياء إلى أفكار "فكرنة"، وسياق تحويل الأشياء إلى كلمات "لفظي"، وتقدم الذاكرة المقاومة للواقع. ولكن عندما لا يوجد هذا الفاصل، أي حينما يغيب الفكر، الذي هو زمن، فأنتم تكونون في حضرة الواقع، وإذا كان فالواقع يؤثر عليكم، وليس أنتم من يؤثر على الواقع.

أمل أن تفهموا كل شيء. فهذا زيادة بالنسبة لصبيحة حارة! أشعر أن العيش بخوف من أي صنف كان، - هذا إذا كنت أستطيع

توظيف المصطلح - شيء سيئ، العيش بخوف أمر سيئ لأنه يولد الكراهية، ويشوه التفكير، ويفسد حياتكم كلها. وبالتالي، لهو ضروري بالمطلق أن يكون الرجل المتدين حراً من الخوف بالكامل، سواء الخارجي أم داخلياً. أنا لا أشير إلى رد الفعل العضوي للجسد المادي لكي يحمي ذاته، الأمر الذي هو طبيعي. إنه أمر طبيعي عند رؤيتكم لثعبان أن تثبوا بعيداً عنه، الأمر الذي هو غريزة حماية الذات، وسيكون من غير الطبيعي ألا يكون لديكم رد فعل كهذا. ولكن الرغبة في أن تكونوا في شعور بالأمان، داخلياً، وسيكولوجياً، على أي مستوى من وجودكم نفسه، لهو أمر يولد الخوف. بوسعنا أن نرى في كل مكان تأثيرات الخوف، ونفهم على هذا النحو، كم هو هام ألا يكون الفعل في أي زمن "أرضية لثقافة" الخوف.

إذا ما أصفيتم جيداً ما قيل هنا في هذا الصباح فسوف ترون أن الخوف لا يجد نفسه إطلاقاً في الحاضر، وإنما على الدوام في المستقبل، ويتسبب به الفكر، التفكير لما يمكن أن يحدث غداً أو من هنا إلى دقيقة. وهكذا فالخوف والفكر، والزمن هم رفاق، وكما يفهم ويتم التعالي (تجاوز) الخوف، فمن الضرورة بمكان فهم الفكر والزمن. فكل فكر مقارن يجب أن يتوقف، وكل فكرة فيها مجهود - الأمر الذي يتضمن التنافس، والطمع، وعبادة النجاح، والصراع كي يصير المرء أحداً ما - يجب إنهاؤها. وذات مرة، يفهم هذا السياق كله، لن يكون هناك أي صراع أوليس كذلك؟ وبالنتيجة، فالعقل لن يجد نفسه في حالة فساد، نظراً لكونه قادراً على مواجهة الخوف. والحال هذه، كائن حر من الخوف لهو أمر ضروري بالمطلق، كي يتمكن من فهم ما هو الفعل الخلاق.

الحياة بالنسبة لنا عموماً، هي روتين ممل، ولا نعثر فيها على أي

شيء جديد . وكل شيء جديد يحدث، يجري على الفور تحويله إلى روتين. يرسم أحد ما لوحة، الأمر الذي ينتقل ليصير جديداً، ولكن فيما بعد، وعلى الفور، يكف عن كونه جديداً - فاللذة، والألم، والمجهود - كل شيء يصبح روتيناً، ضجراً، وصراعاً مستمراً، لا يعني الشيء الكثير. إننا نسعى دوماً إلى شيء جديد - الجديد كالأفلام، واللوحات. نريد الشعور والتعبير عن أشياء جديدة ومختلفة لا تُترجم حالاً ضمن مصطلحات "القديم". نأمل بالعثور على حيلة ما، أو تقنية عبقرية نستطيع بواسطتها أن نعبر عن أنفسنا، ونشعر أننا مُشبعون. ولكن هذا أيضاً ينتهي ليصير إزعاجاً هائلاً، وشيئاً بشعاً، لدرجة أننا نريد تدميره. ونجد أنفسنا في حالة متواصلة من التعرف. وكل شيء جديد يتم التعرف عليه حالاً، وعلى هذا النحو يجري امتصاصه من خلال "القديم". إن سياق التعرف بالنسبة لمعظمنا لديه أهمية استثنائية، ويُرى أن الفكر يفعل على الدوام داخل حقل المعلوم.

وفي اللحظة التي يتم التعرف فيها على شيء، فهذا الأخير يكف عن كونه جديداً. هل تفهمون ما أرمي إليه؟ تربيتنا وعيشنا اليومي، هذا كله سياق للتعرف، ولتكرار متواصل يضيف استمرارية على وجودنا. ومع العقل السجين لهذا السياق، نتساءل فيما إذا كان هناك شيء جديد. نريد الاستقصاء فيما إذا كان هناك رب أم لا. ننطلق من المعلوم، وننوي العثور على المجهول. إنما هو المعلوم الذي يقف وراء الخوف من المجهول، ولذا نقول: "أحتاج العثور على المجهول، والتعرف عليه، وجلبه إلى المعلوم". هكذا هو بحثنا، في الرسم، وفي الموسيقى، وفي كل شيء، البحث عن الجديد من أجل صياغته دوماً ضمن مصطلحات القديم.

والحال هذه، فهذا السياق للتعرف والصياغة في الفعل والامتلاء ليس فعلاً خلاقاً. ليس ثمة إمكانية للتعبير عن المجهول. الأمر الذي يمكن

التعبير عنه هو صياغة أو تعرّف على شيء ندعوه "المجهول". يكفي إذاً، أن تكتشفوا بأنفسكم ما هو الفعل الخلاق، وإلا بالعكس، فحياتنا ليست سوى مجرد روتين، حيث ما من أي تغيير، وما من أي تحول يحصل، وتسامون منها بسرعة. يكمن الفعل الخلاق في الحركة الخلاقية نفسها، وليست صياغة هذه الحركة على الشاشة، وفي الموسيقى، وفي الكتب، أو في علاقة. وبالنتيجة، فالذاكرة تتضمن ملايين السنين من الذكريات، والفرائز، والدافع كي نتجاوز ذلك كله يشكل جزءاً من العقل. ومن هذا القاع لـ "القديم" تصدر الرغبة بالتعرف على الجديد، ولكن الجديد أمر مختلف كلياً - إنه حب - ولا يمكن أن يفهم من خلال عقل مسجون في سياق القديم، ويحاول التعرف على الجديد. وهذا شيء من الأشياء الأكثر صعوبة لنقلها، ولا يصلها، ولكنني أربح بإيصالها إذا كان ذلك ممكناً، لأن العقل الذي لا يجد نفسه في هذه الحالة من الفعل الخلاق فهو على الدوام في سياق إفساد. فهذه الحالة لا زمنية، أبدية، ليست "مقارنة"، ولا هي نفعية، وما من أي قيمة لها ضمن مصطلحات الفعل، ولا أحداً يستطيع استخدامها لكي يرسم لوحات أو يكتب قصيدة رائعة على النمط الشكسبيرى. ولكن من دونها لن يكون ثمة حب بالفعل. الحب الذي نعرفه هو عبارة عن غير، وبشكل عام محاط بالبغضاء، والقلق، واليأس، والعذاب، والصراع، ولا شيء من هذا هو حب. الحب هو شيء جديد على نحوٍ أبدي، غير قابل للمعرفة، وهو ليس نفس الشيء إطلاقاً، وبالتالي فهو حالة مطلقة من اللايقين. و فقط في "حالة من الحب" يمكن للعقل أن يفهم هذا الشيء الفائق للعادة الذي يدعى "فعل خلاق"، الذي هو الله أو أي اسم آخر تريدون منحه إياها. فقط العقل الذي فهم قيود المعلوم، وبالنتيجة تحرر منه، ويمكنه أن يجد نفسه في تلك الحالة الخلاقية حيث لا يوجد عامل إفساد. هل ترغبون

توجيه أسئلتكم حول ما كنا نقوله في هذه الصبيحة؟

سؤال: هل الشعور بأننا نملك إرادة فردية هي سبب الخوف؟

كريشنا مورتى: ربما، ولكن ماذا تفهم من خلال كلمة "فردى"؟ هل أنت "فرد"؟ لديك جسد، واسم، وحساب في البنك، ولكنك داخلياً أنت مقيد، ومكبوت، ومحدود، فهل أنت "فرد"؟ مثل الآخرين كلهم، لعالم مشروطون، أو ليس كذلك؟ وفي داخل هذه المنطقة المحدودة بإشرافكم، التي تدعونها "الفرد" يحدث كل شيء - عذاباتكم، وشعوركم باليأس، وغيرتكم، ومزاجكم. وهذه الكينونة الضيقة والمتجزئة بروحها الفردية، وإرادتها الفردية، وترهات زيادة - واعتباراً منها لديكم غرور كبير. وبها ترغبون اكتشاف الله، والحقيقة والحب. وهذا ليس ممكناً. فالأمر إذاً فقط يكمن في أن يكون المرء واعياً لهذا الجزء الذي تتماهون معه، وبصراعاته، ويدرك أن الجزء لا يستطيع أبداً، أن يصبح الكل. مهما فعلت، فالشعاع (نصف قطر الدائرة) لا يمكنه إطلاقاً أن يصبح الدائرة كلها. وبالتالي، يكفي التقصي، وفهم هذا الوجود المنفصل والضيق والمحدود، هذا "الفرد" المفترض. والأكثر أهمية في هذا كله ليس رأيكم، أو رأيي، إنما اكتشاف الحقيقي. وكما يتم اكتشاف الحقيقي، لا يجب على العقل أن يكون جباناً، بل متحرراً من الخوف، الأمر الذي يجعل منه كلاً "بريئاً". و فقط من هذه "البراءة" يأتي الفعل "الخلق".

21/ تموز/ 1964

³ الذهن "البريء" يشير إلى ذهن لا يمكن إيذاؤه أبداً. إن كلمة "براءة" مشتقة من كلمة لاتينية تعني "غير القادر على التأذي"، والمعنى الآخر للبراءة ذلك الذي يموت عن المعلوم، وعمما يجلبه من صراع ولذة والم. (المترجم)

الفصل السادس ما هو البحث

يبدو لي من الأهمية بمكان أن يكتشف - كل واحد بنفسه - ما الذي يبحث عنه. وكلمة "بحث" تمتلك معنى فائقاً للعادة، ألا تعتقدون ذلك؟ بصرف النظر عن المعنى المعجمي، فإن فعل البحث يشتمل على أن الشخص يتحرك من المحيط إلى المركز. وهذا البحث، وهذا التقصي، يتعلق بمزاج كل واحد، والاضغوطات وتوترات الأوساط المحيطة، والمصائب، وعذابات الحياة، والمحن المتعددة لوجودنا. وتجبرنا هذه العوامل كلها على البحث. وإذا لم يتواجد ضغط، وتحد، ومحنة، وغم، فهل يبحث كل واحد منا عن شيء ما؟

وكلمة "بحث" تعني ضمناً: التقصي على أمل العثور على شيء ما، أو ليس كذلك؟ وبحثت في القاموس هذا الصباح عن كلمة "searching" (بحث)، فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية الأصل، وتعني "بحث، استقصاء، تساؤل، استعلام، سبر". وماذا نبحث؟ هل بوسعنا أن نعرف؟ أو أن الأمر يتعلق بشيء مُبهم، هارب، متغير بشكل متواصل، وفقاً

للظروف، والمزاج، وطباع كل واحد منا؟

نتكلم بتواتر عن "البحث"، "السعي وراء شيء ما". ماذا تتضمن هذه المصطلحات؟ تتضمن أن شخصاً يتحرك تدريجياً من الخارج إلى المركز وفقاً لسماته خاصته، والمسرات، ووفقاً لضغوطات الوسط المحيط. إنه شيء مشابه للقيام بجولة على المحلات التجارية، واحد فواحد، واختبار بدلات ثياب مختلفة حتى العثور على واحدة تليق به جيداً، وتعجبه ويقبلها.

لما تقولون إنكم "تبحثون"، الأمر الذي تريدون فعلاً قوله على أنكم "تختبرون" أفكاراً مختلفة، ومفاهيماً، وطرقاً، عابرين من ديانة إلى أخرى، ومن مرشد إلى آخر، حتى تعثروا في النهاية على شيء يرضيكم، شيء يتوافق تماماً مع مزاجكم الخاص، وسماتكم. وفي حال لم يعجبكم ما يوجد في الغرب، فإنكم ترجعون إلى الشرق بفلسفته المعقدة والقديمة، وحيث يُعثر على "تشكيلة" واسعة من المرشدين والغورو⁴، وتبقون عالقين هناك في وحل بركة صغيرة من الفكر، متخيلين أنها هناك تكمن الحقيقة الأزلية. وإذا لم يتصرف على هذا النحو، فالفرد يصبح الكاثوليكي الأكثر حماسة، أو ينتمي للوجوديين... ربا، كم هي الأشياء من هذا النوع التي توجد في هذا العالم! بالنسبة لي، ليس ثمة شرق، ولا غرباً، فالعقل الإنساني ليس شرقياً ولا غربياً. لا يهم الأصل، فعلوم اللاهوت كلها صيبانية، كما هي الحال بالنسبة للفلسفات كلها. فهي ابتكارات إنسانية، التي يجد الإنسان نفسه فيها منغلِقاً على ذاته ضمن سجن هو نفسه قد شيّدَه، فهو يؤمن بشيء ما، وحول هذه

⁴ مرادفة "غورو" حرفياً تعني "كاشح الظلمات" وهو الشيخ المرشد في الطرق الروحية الهندية.

العقيدة يوجد لاهوتاً، أو يقوم "بإسقاط" فلسفة رائعة، وبقدر ما يكون الفيلسوف أو اللاهوتي أكثر موهبة، بقدر ما يتم "قبوله" أكثر من قبل العامة، ومن قبل القارئ والتابع له. طبعاً، هذا ما نفعله هنا أيضاً. فأنتم تأتون إلى هنا وتبقون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع تستمعون للمحاضر. وإذا لم يعجبكم ما يقوله، ولم يتناسب مع رغبتكم، فإنكم تترفضون إلى شيخ مرشد آخر، أو تتبنون فلسفة أخرى من حيث تجذبون إليكم إشباعاً أكثر. وهكذا، إلا إذا ما استمررتم محجوزين في مستقع راكد صغير من الفكر، وتتابعون التحرك حتى عام آخر، حيث ربما ترجعون إلى ههنا، وإذا تك تعاون الشروع في كل شيء مجدداً.

أظن من الأهمية بمكان، أن تُفهم هذه الظاهرة الفائقة للعادة - سواء كانت في الغرب أم في الشرق - الانتقال من شيء إلى آخر في بحث على نحو لا يتوقف، متسائلين، ومتقصين، وسابرين. أظن أنه يتوجب أن ندرك بوضوح في أنفسنا، ما هو الذي نبحث عنه، ولماذا نبحث عنه، وإذا ما كان ثمة حاجة لبحث ما. فكل بحث بالتأكيد، يشتمل على حركة من السطح إلى المركز، ومن الظروف إلى العلة (السبب)، ومن الحدود إلى الأصل نفسه للوجود، أي أننا نتحرك من الخارج إلى الداخل مترقبين العثور على شيء ما حقيقي، وعميق، وحيوي، وذو معنى للغاية. وفي مسار هذه الحركة نلزم أنفسنا لكي نمارس طرقاً مختلفة، ومناهجاً، فنعذب أنفسنا بمدارس من كل نوع، على نحو أننا في نهاية الحياة نكون قد أصبحنا ضعفاء، ويكاد العقل يكون مشلولاً.

ويبدو لي أن هذا ما يحدث مع أغليبتنا. نتحرك من المحيط إلى المركز، ذلك أننا نرغب باكتشاف كيف نصير سعداء، وما هي الحقيقة، وإذا ما كان هناك رب، شيء ما أبدي، وبالتالي، نعيش ونحن نصارع، نتكيف ونحن نحكي مُتبعين ومُخدرين، عقلنا وقلبنا بمدارس إلى درجة

لا يبقى فيها شيء في داخلنا أصلياً وحقيقياً وواقعياً . ها إن حياتنا،
وبقدر ما يكون الضغط أعظم، والوجع، ووحشية العيش في الوسط
المحيط، بقدر ما نرغب أكثر بأن نتحرك باتجاه المركز.

والحال هذه، هل توجد طريقة ما لبلوغ المركز حالاً، من دون هذا
الصراع اللانهائي لبلوغه، ومن هنا، ومن هذا المركز "يتفتّح" المرء؟ هل
تفهمون سؤالي؟ ثمة ملايين السنين، ونحن نصارع لكي نجتاز الخارج
نحو الداخل، ومن أجل أن نكتشف الحقيقة. وعلى هذا، أقول من نفسي
إلى نفسي إن كل هذا سخف. لماذا أعذب نفسي؟ ولماذا أنسخ، وأحاكي،
وأكون تابعاً؟ هل توجد إمكانية ما كي نكتشف هذا المركز، وأن نوجد فيه
نفسه، ومن هناك "نتفتّح" عوضاً عن السير بالاتجاه المعاكس؟⁵ لأنه
بالنسبة لي وعلى الأقل، "السير باتجاه معاكس" لا يعني شيئاً، ولأنه ما
من أي معنى له. فأنا أرفضه بالكامل. أنا لا أريد تعذيب نفسي، ولا
اتباع أحد. أرفض قراءة كتاب واحد للفلسفة، أو شحذ عقلي ببراهين
دقيقة، فهو قد أصبح حاداً جداً من خلال الطمع، والقلق، واليأس،
وبكل وحشيات الحياة. أنا لا أرغب بممارسة طريقة بعد، أو منهج، أو
اتباع غورو، معلم، مخلص، لا أريد فعل أي شيء من هذا القبيل.

لاحظوا أنني أفكر بصوت عال، ليس فقط بالنسبة لي أنا نفسي، بل
كي أجعل بضعة أشياء واضحة، على نحو أنني وأنتم نستطيع أن نكون في
وحدة حال، في علاقة مع الحقيقي، ولا نكون في صراع على نحو لا
يتوقف بواسطة رد فعل، وكي نتحرك من الخارج إلى الداخل. أنا أعبر
في كلمات ما قد اختبرتموه في لحظات نادرة حيث تشعرون بفائض من

⁵ أي يجب أن نعمل اعتباراً من المركز إلى المحيط، عوضاً عن الفعل من المحيط إلى المركز
وهو ما ذكرناه أعلاه (عوضاً عن السير بالاتجاه المعاكس)

كل شيء، كنائسكم، والسياسيين خاصتكم، والبنوك خاصتكم، وانعدام المعنى لعلاقاتكم في البيت، ويأتي الشعور برتابة المكتب، والكثير من الأشياء الحمقاء لهذه الحياة التي تشكل إهانة للكرامة الإنسانية. قد أمضيتُ عشرين عاماً أو أكثر من حياتي، وأنا أتردد يومياً على المكتب، أو أقوم بالطبخ ويؤد لي أبناء، الواحد بعد الآخر، واختبرت الملذات، والمزعجات أيضاً، والابتذال، والشعور باليأس، وكل شيء ملازم لذلك كله، يجب أحياناً أن تسألوا أنفسكم فيما إذا كانت توجد إمكانية للبلوغ بشكل مفاجئ المنبع الأصلي، والجوهر الحقيقي للأشياء، ومن هنا العيش والعمل والتحصين، على نحو لن تحتاجوا فيه لقراءة كتاب، ودراسة أي فلسفة كانت، والتعبّد لأي صورة كانت أو لمخلص لأنكم حينما نظرتهم، تعشرون على ذلك المركز من حيث ينطلق كل فعل، وكل حب، وكل شيء.

الواقع الواضح جداً، هو أننا - بجشعنا، وشعورنا بالغيرة، ولهفتنا للملكية، وشعورنا بالخوف، وعاطفتنا، وملذاتنا الزائلة، وإشباعنا الشخصي - لا نزال ضمن المملكة الحيوانية، أو فننقل إننا حيوانات على درجة عالية من التطور. إذا ما رصدنا حيواناً، فسوف نرى أن لديه صراعات مثل تلك التي لدينا نحن البشر. فالقرود الشبيهة بالإنسان (الرئيسيات العليا) هي غيورة، كما تحصل مشاجرات زوجية، مثلنا، فهي تتجمع ضمن مجموعات، أولاً العائلة، وبعد ذلك القبيلة، الخ، منذ قليل، قال أحد ما إن هذه القرود تتمظهر بأناقة في جمعية الهيئة العامة للأمم المتحدة مثل أي كائن إنساني! ومن الواضح أن طبعنا، وإخلاصنا، وشجاعتنا، وشعورنا بالخوف، وحروبنا، وسلامنا المزعوم، وصراعاتنا، وكل شيء يصدر من هذا القاع الحيواني. لسئتم مضطرين لمناقشتي حول هذا الموضوع. لقد أكد ذلك البيولوجيون والأنثروبولوجيون إن

شئتم مرجعيات.

والحال هذه، هل من الممكن للإنسان أن يتحرر من هذا القاع الحيواني ليس في النهاية، ببطء، وتدرجياً، وإنما تحويله بضرية واحدة محولاً إياه بشكل نهائي. وكى يحصل إذاك على أخلاقية وأدب، وإدراك للجمال المميز كلياً، محولاً القاع الحيواني؟ بالتأكيد، كى نحيا سوية في العالم، فإننا نحتاج إلى أخلاقية للسلوك الاجتماعي، ولكننا حالياً، آدابنا ومفاهيمنا عن السلوك - التي تشكل طرق وجودنا اليومي - لا تزال صادرة عن "الحيوان" ولا نريد الاعتراف بذلك. يسرنا أن نفكر - لأننا بذلك نكون قادرين أكثر قليلاً، وأكثر فاعلية، وأكثر ابتكارية من القرود - الأمر الذي يبرر أننا أكثر إنسانية، ولكن القرود أيضاً تستخدم أدوات كى تلتقط الأشياء، وهي تتمتع بالابتكار، وبالتالي، ثمة اختلاف ضئيل بيننا وبينها.

يوجد إذاً، هذا النشاط الفائق للعادة للحيوانات، والنشاط أيضاً الفائق للعادة للعقل الإنساني الذي يرغب بالشعور بالأمان، سواء في العالم المادي أم على المستوى الداخلي. وباعتبار الأمر على هذا النحو، فهو نتيجة للفريزة الحيوانية. وفي الوقت نفسه، ثمة الرغبة في اكتشاف شيء حقيقي وأصلي وحالة غير فاسدة، سوية. والحال هذه، هل يمكن بلوغ هذه الحالة على نحو مفاجئ، من دون أن يكون ضروري غرسها أو السعي إليها؟ ذلك أن الجمال لا يمكن غرسه، ولا الحب أيضاً، فهذه الحالة تظهر لحظياً، كما لو أنه يواجهنا فجأة، مشهد عام، لم نره إطلاقاً. ونراه أمامنا بشكل مفاجئ، مليئاً بالغنى، والامتلاء، والحياة ونحن نشكل جزءاً منه، ومن ههنا نحيا ونفعل ونكون. ومن دون بذل مجهود، ومن دون انضباط، وسيطرة، وإجبار، صادر من الخارج، ومن دون محاكاة، الخ. إننا نبلغ نبع الحياة على نحو مفاجئ، ينبوع الوجود

كله، وأن نشرب من هذا الينبوع، فالعقل يعيش ويحيا أبداً. هل هذا ممكن؟

هل تقيمون سؤالاً؟ فالأمر ليس عبارة عن شاعرية، ولا سرانية، ليس أمراً كي يثير فيكم الانفعالات أو يلهمكم، ولا كي يُشعّر به حدساً. لا شيء من هذا القبيل. لطالما أننا نحتفظ بـ"القاع الحيواني" - مشاعرنا بالحسد، والغيرة، واليأس - إنما التحويل كلياً بضربة واحدة للقاء الحيواني، والشروع ببداية جديدة. هل هذا ممكن؟

سوف أظهر لكم، كم هو هام وضروري أن نجعل ذلك ممكناً. إذا ما اعترفتم بالزمن - البارحة واليوم وغداً - تكونون إذاً مسجونين على نحو لا يمكن تجنبه في سياق انحلاله، لأنكم سوف تعتمدون دوماً على الغد، وسيتواجد دائماً بارحة تقوم بإشراط حاضركم. إذاً، العقل الناجم عن وجود ألفي، يجب أن ينسى الزمن. هل الأمر واضح؟ عليه أن يتحرر من الزمن بالكامل. وإذا لم يتصرف على هذا النحو فسوف يبقى عالقاً في شبكة الزمن، في الصراع لبلوغ ما "سوف يصير"، "يصل" ولا يكف عن التورط في هذا الصراع الذي يقود فقط إلى المعاناة، والعذاب والانحطاط. فما العمل إذاً؟

أرغب بالاكشاف الآن بالضبط، وليس فيما بعد ما هو حقيقي. وأريد أن أكون هنا الآن! لا صبر عندي كي أنتظر الـ"هناك"، لست بحاجة للزمن، ولا لفكرة بلوغ شيء ما في نهاية حياتي، أو بعد ما عشت عشرة آلاف حياة. فهذا بالنسبة لي صبياني بالكامل، من دون نضج. إنما الأمر ابتكار من جانب عقلي، في كسله، وتشويشه، وشعوره باليأس. أريد أن أكون يقظاً جداً لدرجة أنني عندما أفتح عيني، وعقلي وقلبي فالحقيقة تكمن هنا، لا هناك، ومن هنا أريد أن أفعل وأنشط وأحيا وأتمتع بجماليات الأرض.

سوف أتكلم عن شيء لا يمكن بحال من الأحوال أن يُنسخ، أو يُحاكى. سوف أتقصي، وأمل أن ترافقوني في هذا التقصي. أما إذا اتبعتُموني فقط، فسوف تضيعون في الطريق.

مهما كانت اختلافات المزاج كبيرة، فكل حركة من الجانب إلى المركز فهي حركة إيجابية. إنه بحث متعمد، وارتجاع يهرب من الهامش إلى المركز، حركة ناجمة عن الرغبة بالعثور، وبالنتيجة يفترض انضباطاً، ومحاكاة، واتباعاً، وطاعة، وممارسة لمنهج. ويشكل هذا كله سياقاً إيجابياً، وعلى الأقل ما اعتدنا على تسميته "إيجابي".

انتبهوا لما سأقوله، من دون أن تبرهنوا على الأمر عقلياً، ويقدر ما تتقدمون، فسوف ترون كم أن هذا حقيقي. أنا لا أحاول أن أنومكم مغناطيسياً، أو أن أفرض عليكم شيئاً ما، ولا حتى القيام بدعاية (بروباغاندا) من صنف ما، فهذا كله ليس بأمر سوي.

إذاً، نحن واعون لهذا السياق الإيجابي، وندرك معناه بالكامل. نراه "حالياً" وليس بطريقة لامبالية، من دون انتباه، وبفكرة: "سأتأمل في هذا غداً". ليس ثمة فكر متعلق بالغد، وليس ثمة فكرة عن الزمن الوسيط. إنما ندركه فوراً، وبالتالي، تتوقف كل الحركة الإيجابية. ولا شيء يُقام به، ولم يوجد أي فعل عن قصد، وما من أي علة، وما من أي بحث متعمد، ويبلغ نتيجة. إننا نفهم صبيانية هذه الحركة الإيجابية بكهنتها - نشعر ببطلانها الكلي. الكهنة، والكنائس، واللاهوتيون - يتلاشى كل شيء، ذلك أننا نرى هذه الحركة الإيجابية من المحيط إلى المركز لا تبلغ المركز مطلقاً. إنها الحركة الخارجية تبتغي أن تصير "داخلية"، الأمر كتحصيل حاصل، فهي ستظل "خارجية". ندرك هذا الواقع بشكل مميز، بوضوح فائق للعادة، ونبدأ على هذا النحو بفهم جمال الحركة السلبية، الحركة العقلية السلبية التي هي ليست بنقيض الإيجابي، وإنما

تصبح موجودة عندما نفهم معنى الحركة الإيجابية. عقلنا إذاً، ليس أسيراً للحركة الإيجابية، ويجد نفسه على هذا النحو في حركة من الرفض. أي بإدراك - ليس على نحو جزئي، بل كاملاً - معنى الحركة الإيجابية، فهي لن تكون في حركة، ولن تفعل، وبالنتيجة، تجد نفسها في حالة يمكن تسميتها "سلبية" هل تفهمون ذلك؟ سوف أعبر عنه بطريقة أخرى.

شخصياً، لم أقرأ على الإطلاق كتاباً حول هذا الموضوع. ولا أربح القيام بهذا، لطالما أنه لا يهمني، بما أنني أرى في داخل نفسي الإنسانية كلها، ليس في المعنى السراني المجازي، أو الرمزي، وإنما فعلاً. أنا أنتم والعالم أيضاً. ففي داخلي يكمن كنز العالم كله، وكما نكتشفه عليّ فقط أن أفهم وأتجاوز (أتعالى) نفسي ذاتها. وإن لم أفهم ذاتي، فليس لدي سبب كي أوجد، ولن يكون لدي أي جوهر، وأنا فقط كيان مشوش، وبقدر ما أبحث أكثر، بقدر ما أدرس أكثر، وأتبع شيخاً مرشداً، بقدر ما أتشوش أكثر.

أعتمد على المرشدين، وعلى مزاجي، وعلى رغباتي، وبالنتيجة، أزيد من تشويشي.

أرى إذاً، كم هو هام أن أفهم نفسي ذاتها، كلياً، ومن دون مجهود، أي من دون أن أجعل من هذا الفهم مشكلة. وكما أفهم نفسي، لا يجب على عقلي أن يقوم بأي حركة إيجابية كي يصحح، أو كي لا يصحح ما يرى. وكما قد أكدت، سواءً العقل الواعي أم اللاواعي، فهما كلاهما قليلا الأهمية، وضروري لي أن أفهم بطلانهما، وأحتاج أن أفهم ذلك حالاً، على نحو أن اللاوعي لا يشرع في القيام بـ"مراوغات"، و"إسقاط" رؤى، وصور، ورغبات سرية، حينما لا أوليه انتباهاً، الأمر الذي يصبح بدوره مشكلة.

هل كل شيء واضح؟

أرى أنني كي أفهم نفسي، أحتاج إلى عقل حر من التأثير ومن باعث، عقل ساكن، مع غياب كلي للفعل الإيجابي. ولما أنظر بهذا الوضوح العقلي، فإنني أنظر إلى نفسي ذاتها، ويكفي هذا النظر لكي أنني بطلان "الأنا".

أنا لا أبتكر أي فلسفة. وحباً بالله، لا تفسروا هذا على أنه غرابة ما شرقية. فالأمر لا يتعلق بأي طبع لهذا المحاضر، الذي وُلد على نحو عرضي في أرض حيث الشمس الحارقة، وتجعل الجلد أسمر اللون، وبسبب هذا الحر والكسل الذي يتسبب به، والفقر العام، يوجد هناك أناس يعودون إلى الداخل، وكنتيجة لذلك، يكتبون فلسفات، ويبتكرون أدياناً، وآلهة، الخ. لندعهم مع أشياءهم. أنا لست أتكلم حول ذلك، إنما أتكلم عن شيء ليس بشرقي ولا بغربي، ولا شخصياً، ولا غير شخصي، بل ما هو حقيقي: حالة نرى فيها أنفسنا بشكل متكرر حيث لسنا مدفوعين من خلال رغبة الإشباع، ولا نحتاج إلى تجارب، ولا نبحث عنها.

لا أحداً يمكنه أن يقودنا إلى هذه الحالة، نحن من يجب أن يبلغها، ولذلك فالأمر يتطلب طاقة. ومن خلال ما تعنيه كلمة طاقة أفهم تطبيق كل انتباهنا من دون حصول أي شرود.

في الواقع، لا يوجد الشرود، وما ندعوه "شروداً" ليس أكثر من نقصان في الانتباه.

هل يوجد شيء كهذا أي "الشرود"؟ عندما أتنزه بهدوء، أنظر للأشياء التي تحيطني، ولا شيء مما أرصده هو شرود. ثمة شرود فقط عندما أريد تركيز الانتباه على فكر واحد، مع استبعاد كل شيء آخر. إذاك فإن عقلي يجول من جانب إلى آخر، وإلى مواضيع مختلفة، وإذا ما أهممتني

هذه المواضيع، وغيّرت من مجرى طريقي الذي اتبعه، وابتعدتني عن المركز الذي هو "أنيّتي"، أدعو ذلك شروداً. ولكن إن لم يكن يوجد هذا المركز، هذا "الأنا" وإذا لم أكن أجري في طريق محدد، فلن يكون هناك شرود.

إنه لأمر هام جداً أن نفهم ذلك. وفي حال فهمنا ذلك بوضوح أكبر، فسوف نرى أن المجهود كله للتركيز، مع الصراع الذي يجلبه معه، سيزول بالكامل، ولن يتواجد إذاً أي شرود. في النظر إلى السماء، وفي النظر إلى وجه طفل جميل، وفي الاستماع إلى اندفاع السيل، وإلى هدير محرك طائرة، وفي رصد الأشخاص والسياسيين، والكهنة، وفي الاستماع للعقل والقلب نفسه، في أن يكون المرء واعياً لمطالبه ومشاعره باليأس. ولا شيئاً من هذا - من النظر إلى السماء حتى النظر إلى النفس - فيه ثمة شرود، لأن كل واحد من هذه العناصر يشكل جزءاً من كل. وهذا الكل فقط يمكن أن يُدرك لما يتواجد انتباه تام. وينتفي الانتباه الكلي عند قبولنا لفكرة الشرود. اوه، انظروا إلى هذا أرجوكم!

حين يوجد انتباه تام، لا تأخذوا بعين الاعتبار أي شيء على أنه شرود. جنسكم، غيرتكم، قلقكم، شعوركم بالخوف، حيككم، شفكم، لا شيء تنظرون إليه يكون شروداً. كل شيء يكمن في شعلة الانتباه، وبالتالي، لا شيء مجزأ. السياسي، والكاهن، والطقس، وكل شيء يشكل جزءاً من الكل. ففي الحركة الإيجابية للعقل يوجد الشرود، والتجزئة، ولكن، حينما لا يكون لدى العقل أي حركة، وبالنتيجة، يكون سلبياً - هذا إذا ما كان بمقدوري استخدام هذه الكلمة - والحياة لا تتجزأ. إذاً، الغيمة في السماء، والغبار على الطريق، والوردة على حافة الطريق، ووشوشات أفكاركم، كل شيء يشكل جزءاً من الكل. ولكن فقط يمكن فهم هذه الكلائية لما تتوقف الحركة الإيجابية للعقل.

وهكذا، يستطيع شخص أن يرى بذاته نفسها، أنه كي يبلغ هذا المركز، هذا النبع للأشياء كلها، الذي هو المطلق، فلا بد للحركة العقلية أن تتوقف، ولكن ليس بتعذيب العقل بممارسات الانضباط، أو القيام بسؤال صعب جداً، أو خيالي، على طريقة بضعة مذاهب، حيث يتم إسكات العقل بالصدمة. وهذا فعل صبياني بالكامل. من البداية يكفي إدراك الحقيقة لكل حركة الفكر والشعور، وهذا ممكن فقط عندما يكون العقل بالكامل "سلبياً"، صامتاً كله، وساكناً. بوسعنا أن نفعل ذلك حالاً. إنه كما الخروج عن طريق، طريق الفعل الإيجابي الذي ما برح الإنسان يجول عليه اعتيادياً منذ آلاف وآلاف السنين. بوسعكم الخروج من هذا الطريق من دون أي توقع، ومن دون أن تطلبوا أو تسعوا، وهذا تستطيعون القيام به عند إدراككم له في كلانيتها، حركة "الإنسان" ليس فقط حركة إنسان ما بشكل خاص، أي عند إدراككم في داخلكم حركة الكل. وعند رؤيتكم لهذا كاملاً، وبنظرة خاطفة - وهذا ما عليكم أن تفعلوه - إذاً، فأنتم تسيرون في حرية، ومن هذه الحرية يأتي فعل لا يشلّ العقل.

هل ترغبون بتوجيه أسئلة حول ما كنا نقوله؟

سؤال: ما هو النضج؟

كريشنا مورتى: لعنا كنا نتكلم عن النضج؟ حسناً سيدي، ما هو النضج؟ هل للنضج علاقة بعمر الشخص؟ هل يتعلق بالتجربة، والمعرفة، والإمكانية؟ أم مع التنافس وتجميع المال؟ إذا كان الجواب "كلا"، فما هو النضج؟ هل له علاقة بالزمن؟ لا تقولوا "كلا" على الفور. إن كنت حراً فعلاً من الزمن وفي حال لم يكن الزمن يعني لك شيئاً، فعلى أي حال سيكون عقلك؟ أنا لا أشير إلى الزمن التسلسلي، فهذا لديه أهميته الواضحة. أما في حال لم يكن يمثل لك الزمن بالمعنى

السيكولوجي، أي شيء - زمن للتحقيقات، وكي يكون لديك نجاح، وزمن للنوم، والمكسب، وزمن لكي تصبح ذكياً، ولكي تفهم، وتقارن... الخ. أفلا تكون إذاك كائناً ناضجاً؟ وهكذا فالعقل السليم فقط يكون ناضجاً، وليس ذلك الذي يقوم بمراكمة المعارف على نحو لانهائي. المعرفة ضرورية، وتملك معنى على مستوى ما، أما المعرفة والعلم فلا ينتجان ضياءً وبراءة. ثمة براءة فقط عندما ينتهي الصراع كله. وعندما لا يتحرك العقل في وجهة محددة، نظراً لكون الوجهات كلها مفهومة، فيجد نفسه في هذه الحالة من الأصالة التي هي البراءة، ومن هنا يمكنه بلوغ الشسوع حيث لأبد أن يعثر على المطلق، وفقط إذاك يكون العقل ناضجاً.

23/تموز/1964

الفصل السابع

فعل من دون مجهود

أرغب بالمتابعة من الموضوع حيث توقفنا في يوم سابق. أعتبر فهم مسألة الفعل أمراً هاماً، ولا أوظف هذه الكلمة بالمعنى المجرد، أو الفكري فقط. أشير للواقع الملموس للفعل، لـ"القيام بشيء ما". وفي حال كنتم تحفرون في حديقة، أو كنتم في طريقكم إلى مكتبكم، أو تتأملون شجرة، أو تتابعون حركة نهر، أو ببساطة تسيرون على الطريق من دون أي فكر، راصدين الأشياء بهدوء، أو أياً كان ما تفعلونه، فهو جزء من الفعل. ولكن، عموماً، فهذا الفعل يولد صراعاً. وهذا الفعل مهما اعتبرناه عميقاً أو كان أكثر سطحية، فهو يصبح آلياً، ومُتعباً، ومضجراً، ومجرد نشاط من دون معنى. ولذلك من الأهمية بمكان أن نفهم ما هو "الفعل".

القيام بأي شيء - المشي، التكلم، النُّظْر، التفكير، الشعور - فهذا كله يحتاج إلى طاقة، والطاقة تتبدد لما يوجد صراع في تعبيرها ذاته. كما يمكن أن نرصد نشاطاتنا على المستويات كلها، فهي تولد صراعاً،

وتوجد فينا وعياً للمجهود، ومقاومة ما، وإنكاراً، ودفاعاً. وهل يمكن بشكل من الأشكال أن نعمل من دون صراع، ومن دون مقاومة، لا بل حتى من دون مجهود؟ وحول هذا الأمر أرغب بالتكلم معكم في هذا الصباح.

انظروا ما يحدث في العالم، أجهزة الكمبيوتر، والأدغة الإلكترونية، وأشكال متعددة من "العمل الآلي" سوف يوفر ذلك كله، كل مرة أكثر ارتياحاً للإنسان، وهذه الاستراحة سوف تُحتكر من قِبَل الكنائس والمؤسسات المتنوعة.

لا أدري إذا ما كان هناك اختلاف بين هذين الشئيين، ولكن مؤقتاً لنتركهما منفصلين. وعندما يتمتع الإنسان باستراحة أكثر، يصبح لديه طاقة أكثر - الكثير من الطاقة - ويقتضي المجتمع أن يتم استعمال هذه الطاقة بطريقة صحيحة، وليس على نحوٍ معادٍ للمجتمع. وكى تتم السيطرة على الشعور المعادي للمجتمع، يستسلم الإنسان للديانة المنظمة، أو للهو من كل نوع. أو أنه سيعمل على الاهتمام بالقراءة، وبالفن، وبالموسيقى، وبأي شكل من أشكال اللهو. وتكون النتيجة أن الإنسان سوف يصبح كل مرة أكثر سطحية. وقد تستطيع أن تقرأ كتب العالم كلها، وتسعى لفهم تعقيدات علم اللاهوت، والفلسفة، والعلم، وقد تتمكن من التآلف مع بضعة وقائع، وحقائق القراءة، ولكن كل شيء سيكون مظهرأ، كما هي الحال بالنسبة للأشكال المختلفة للدين، واللهو، كما تؤكد الأديان المنظمة أنها تبحث عن الأشكال الداخلية للحياة، ولكنها تحتاج للإيمان، والعقيدة، والطقوس، والامتثال لها، كما نعلم ذلك جميعاً.

والحال هذه، ما لم نكن واعين لهذه الظروف كلها الملازمة لحضارتنا الحالية، فسوف يتم استهلاك طاقتنا، وسوف يبقى انتباهنا سطحياً،

وبسبب هذه السطحية، سنستمر بمعاناة صراع داخلي من جهة، ومع الأشخاص الآخرين من جهة أخرى، وأخيراً مع المجتمع. وفي الأشكال كلها للنشاط الإنساني - الفني، والعلمي، والرياضي، والصناعي - وفي علاقاتنا مع الزوجة، أو الزوج، ومع الأبناء، ومع القريب، فسوف يظل المرء يعاني صراعاً، وكل صراع هو تبديد للطاقة. وكما نتوصل إلى إخماد الصراع، وبالنتيجة، نحافظ على الطاقة، يكفيننا أن نفهم ما هو الفعل، لأنه من دون هذا الفهم فحياتنا سوف تصبح خارجية أكثر فأكثر، وسنكون كل مرة أكثر فراغاً داخلياً. وهذا لن يكون قابلاً للتأثر بالنقاش أو بالشك، ولا هو مسألة رأيي ضد رأيكم. فالأمر يتعلق بوقائع حقيقية.

كذلك، ففي الدرجة الأولى، ما هو "فعل" كيف نعرفه؟ فأفعالنا كلها تمتلك دافعاً ما لها، دقيقاً، أو واضحاً. أو ليس ذلك حقيقة؟ إما هادفاً إلى مكافأة، أو متأثراً بالخوف، أو ساعياً كي يربح شيئاً ما. فعلنا على الدوام هو تكيف مع نموذج ما، فكرة ما، أو الاقتراب من مثال ما. امتثال للواقع، وتكيف، واقتراب، ومقاومة، وتخلُّ، لذلك فكل ما نعرفه عن الفعل، يتضمَّن هذا كله سلسلة من الصراعات.

كما ذكرت آنفاً، فالوصال مع شيء ما، لسنا على علاقة عميقة معه فذلك أمر صعب جداً. أرغب بأن أكون في وصال (وحدة شعور) معكم في ما يتعلق بحالة روحية هي نقيض حقيقي لهذا الصراع الذي ندعوه "فعالاً" عموماً. ثمة فعل كلي، فعل من دون صراع، وأرغب أن أقول لكم شيئاً عنه، وليس كي تقبلوه أو ترفضوه، أو يجري تنويمكم مغناطيسياً من خلال كلماتي. واحد من الأشياء الأكثر صعوبة (لما يكون رجل جالساً على منبر، يتكلم والآخرين يستمعون له، هذا إذا كانوا يصغون إليه فعلاً) هو ترسيخ العلاقة السليمة بين المُستمع والمحاضر. أنتم ههنا

ليس كي تُتَوَمَّوا مغناطيسياً بسلسلة كلمات، ولا أرغب حتى بأي شكل من الأشكال أن أوثر عليكم. ولست أروِّج لدعاية (بروباغاندا) لفكرة، ولا في نيَّتي تعليمكم. كما أوضحت عدة مرات، ليس ثمة معلم، ولا تلميذ، ثمة فقط "حالة تعلم"، وليس لدينا أنا وأنتم أي إمكانية للتعلم، إذا ما انتظرنا أن يجري تعليمنا، وإطلاعنا على ما يجب أن نفعله. لا تهمننا آراء. فأنا لا أملك آراءً. وما أحاول فعله هو فقط عرض وقائع، وأنتم بوسعكم النظر إليها، وتفحصها بأنفسكم. وهذا يعني أنني وأنتم علينا ترسيخ علاقة سليمة، على نحو يتواجد فيه لا وحدة شعور (وصال) فكري فحسب، بل إدراكاً كلياً ليتفحصه كلانا. لسنا في وصال واحد مع الآخر، ولكن قبلاً يجب أن نكون في وصال مع الواقع، وبالنتيجة، يصبح الواقع أكثر أهمية مني أنا وأنتم. فقط الواقع، وإدراكه على نحو متبادل، سوف يوجد الوسط المحيط، أو الجو المناسب، الذي لا يمكنه أن يتركنا نتأثر به بعمق. وكذلك، أظن أن الإصغاء إلى شيء - ذلك الجدول، أو وشوشة الأشجار، أو أفكارنا نفسها، ومشاعرنا - يصبح هاماً للغاية لما نأخذ بعين الاعتبار الواقع في حد ذاته، وليس فكرة أو رأياً حوله.

عرفنا جميعاً أن فعلنا يولد صراعاً. فكل فعل قائم على فكرة، أو مفهوم، أو صيغة، أو يهدف إلى مثال، لا بد أن يولد صراعاً على نحو لا يمكن تجنبه. هذا أمر واضح. وإذا ما فعلت بالتوافق مع طريقة، نموذج، مفهوم، فأنا أكون دائماً منقسماً بين الواقع - ما أنا عليه - وما أفكر أنه يتوجب القيام بخصوصه، وهكذا، فليس ثمة فعل كامل. ثمة على الدوام "اقتراب" إلى فكرة، أو مثال، وبالتالي، يكون الصراع ملازماً لكل فعل نعرفه، وهو أمر فيه تبيد للطاقة، وهو عامل إفساد عقلي. ارسدوا حالة نشاط عقلكم، وسترون أن هذا حقيقي.

الآن، أسأل نفسي ذاتها: هل يوجد فعل من دون فكرة، وبالنتيجة، من

دون صراع؟ أو بعبارة أخرى، هل يجب على الفعل دائماً أن يولد مجهوداً، ونضالاً، وصراعاً؟ على سبيل المثال، أنا أتكلم، وهذا شكل للفعل. وعلى الأرجح، ففي هذا الفعل يكمن ثمة صراع، وإذا ما حاولت فرض نفسي، وأنا أسمى كي أجعل نفسي هاماً، وأسعى لإقناعكم بذلك. وعلى ذلك فمن الأهمية بمكان أن يكتشف كل واحد بنفسه أنه ثمة إمكانية للعيش وللقيام بأشياء من دون صراع هو الأكثر خفة، أي في حال تواجد فعل حيث العقل يبقى غير ملموس، وحرراً من الفساد، ومن أي شكل تشوه كان. ولا يمكن الكف عن تواجد تشوه، إذا ما كان العقل بشكل ما متأثراً أو متورطاً في صراع، الأمر الذي هو في النهاية تبديد للطاقة. إن اكتشاف ما يجري حقاً، هو بالنسبة لي ذو اهتمام حقيقي، ويجب أن يكون كذلك بالنسبة لكم أيضاً، لأن ما نحن في صدد المحاولة يكمن في أن نستقصي إذا ما كنا نستطيع أن نحيا من دون معاناة، ومن دون خوف، ومن دون شعور باليأس، ومن دون أي شكل من النشاط الذي يُفسدنا عقلياً. هل يمكن أن يحدث لنا ذلك؟ ما الذي يحدث لشخص غير متأثر بالمجتمع، فلا يخاف، ولا يكون شرهاً، ولا حسوداً، ولا طماعاً، ولا يرغب بالسلطة؟

كي نستقصي الأمر، علينا أن نبدأ بوعي حالة عقلنا الحالية، المليئة بالصراعات، وبالعذابات، وبالإحباطات، والضلالات، والشعور باليأس. علينا أن نكون واعين تماماً، وهكذا تتجمع الطاقة، وهذا التجمع نفسه للطاقة، هو الفعل الذي سوف ينقي العقل من كل شيء عديم الفائدة، كان الإنسان قد راكمه على مدار القرون.

لا يهمنا الفعل في حد ذاته. نحن نبتغي أن نتحقق فيما إذا كان يوجد فعل لا يولد تناقضاً في أي شكل. وكما رأينا، الأفكار، والمفاهيم، والطرق، والنماذج، والمناهج، وقوانين الإيمان، والمثالات، فهي موجدة

للأفعال المتناقضة. وهل من الممكن أن نعيش من دون فكرة، أي من دون أي نموذج، ولا أي مثال، ولا أي مفهوم، أو عقيدة؟ بهم جداً أن نكتشف الأمر بأنفسنا، ويمكن بسهولة الرؤية بأن الحب ليس فكرة، ولا نموذجاً، ولا مفهوماً. وبشكل عام، لدينا مفهوم عما هو الحب، ولكن هذا المفهوم، من الواضح، أنه ليس هو الحب نفسه. إما نحب أو لا نحب.

إنه ممكن لشخص يعيش في هذا العالم، ويذهب إلى المكتب في الأيام كلها، ويطبخ، ويفسل الأطباق، ويقود سيارته، وينفذ أفعال الحياة اليومية كلها - التي أصبحت في الحاضر أفعالاً آلية، ومُسبَّبة للصراع - إنه ممكن أن يجعل من هذه الأشياء كلها، أن يعيش، ويتحرك من دون فكرة⁶، وبهذه الطريقة يحرر الفعل من التناقض كله؟

لا أعلم فيما إذا تجولتُم بضعة مرات في شارع مليء بالحركة، أو في طريق لا حركة فيه، وأنتم تنظرون فقط للأشياء، من دون تفكير. ثمة حالة للرصد من دون تدخل الفكر، بالرغم من أننا على دراية بكل شيء يحيط بنا، وقد تعرفنا على شخص آخر، والجبل، والشجرة، أو السيارة التي تقترب، وعقلنا لا يفعل في نموذج الفكر المعتاد. لا أدري إذا ما حدث لكم هذا ذات مرة.

قد تختبرونها في ساحة بينما أنتم تنتزهون في السيارة، أو سيراً على القدمين. انظروا فقط، ارصدا من دون الارتجاع الناجم عن الفكر. ناهيكم أنكم تتعرفون على الألوان والأشكال بالرغم من أنكم تنظرون للنهر، وللسيارة، وللحيوان، ولللباص، فليس ثمة ارتجاع (رد فعل)، وإنما رصد فقط، وهذه الحالة نفسها لما يُدعى رصد سلبي، تكون فعلاً. إذا فالعقل قد يستخدم المعرفة من أجل تنفيذ ما هو ضروري، أما إذا وجد

⁶ فكرة: ملكة العقل في تشكيل الأفكار والمحافظة عليها.

نفسه مجرداً من الفكر، بمعنى آخر، لا يفعل ارتجاع. ومع هذا الانتباه الكلي، من دون مقاومة، فسوف تستطيعون تنفيذ المهام كلها لكل يوم. عموماً، نحن نفكر على الدوام بأنفسنا ذاتها، من الصباح إلى المساء، ونفعل داخل النموذج لهذا النشاط المتمركز حول الأنا. وكل نشاط على هذا الشكل، يكون ارتجاعاً فقط، ويؤدي إلى عدة أشكال من الصراع والفساد. ولكن هل يمكن ألا يفعل ضمن هذا النموذج، ومع ذلك يعيش في هذا العالم؟ أنا لا أريد القول "أن يعيش المرء وحيداً في مغارة بين الجبال" هل من الممكن العيش في هذا العالم والعمل ككائن إنساني كلي، من خلال فعل هذه الحالة من "الفراغ" إن لم تسوِّغوا على نحو خاطئ ما أرمي إليه من استخدام لهذه الكلمة؟ وأنا أرسم، أو أكتب قصيدة، أو أسير إلى المكتب، أو أتكلم، فهل تستطيعون المحافظة دوماً على فراغ داخلي، والفعل اعتباراً من هذا الفراغ؟ لأنه لما يوجد هذا الفراغ، فالفعل لا يولد تناقضاً.

وهذا أمر هام جداً "الاكتشاف"، وأنتم أنفسكم عليكم أن تكتشفوا هذا الفعل، لطالما أنه لا يمكن تعليمه أو تفسيره. وكما تكتشفوه، عليكم أولاً أن تفهموا كل فعل متمركز حول الأنا، يولد صراعاً، وتالياً، تسألون أنفسكم فيما إذا كان العقل يستطيع في زمن ما أن يرتضي بفعل كهذا. فالعقل قد يتم إشباعه لحظياً، ولكنكم عند إدراككم أن كل فعل من هذه الطبيعة، فالصراع لا يمكن تجنبه، وتعبرون للاستقصاء فيما إذا كان يوجد نوع آخر من الفعل، فعل لا يقود إلى الصراع، وستكتشفون إذاً على نحو لا يمكن تجنبه أنه موجود.

ويظهر كذلك السؤال، لماذا نحن في مسعى دائم للإشباع؟ في علاقاتنا كلها، وفي كل شيء نقوم به، توجد دائماً الرغبة بالامتلاء، والسعي للذة، والرغبة في المحافظة على هذه الحالة من الشعور باللذة. وما ندعوه

"استياء" يمثل فقط عندما لا تشبعنا الأشياء، وهذا الاستياء يفيد فقط كي يولد سلسلة أخرى من ردود الأفعال.

إن الفرد الذي يواجه الوقائع بجدية، ويدرك هذا كله، كما الأمر منذ آلاف السنين يعيش الناس في تشويش تام وعذاب، ومن دون تواجد فعل كلي إطلاقاً، وعليه أن يكتشف بنفسه إن كان قادراً على العيش من دون أن يترك نفسه تفسد من خلال المجتمع. وهذا الفعل يمكن أن يكتشفه فقط لما يكون حرّاً من التأثير الاجتماعي. أشير إلى حالة حرة من البنية السيكولوجية للمجتمع، المتشكلة من الجشع، والحسد، والطمع، والرغبة بالشعور بالأهمية الشخصية. وذات مرة تُفهم وتوضع جانباً هذه البنية، فالإنسان يجد نفسه حرّاً من المجتمع. وسوف يستطيع الاستمرار في الذهاب إلى المكتب واكتساء المتزر، الخ. ولكن هل سيكون حرّاً من هذه البنية السيكولوجية التي تشوّه الذهن بمقدار كبير.

إجمالاً، يصل إلى نقطة حيث يكتشف بذاته نفسها أن التحرر من التأثير الاجتماعي هو اللافعل التام، وهذا اللافعل يعني فعلاً كلياً لا يولد تناقضاً، ولا إفساداً.

لقد قلت ما كنت أرغب بقوله في هذا الصباح، والآن ربما تستطيعون مناقشته، أو يمكنكم توجيه أسئلة حول ما قيل.

سؤال: هل نستطيع الحفاظ على وظائفنا، وأن نعمل من دون منافسة؟

كريشنا مورتى: ألا نستطيع ذلك يا سيدي؟ هل تستطيع التردد على المكتب والحفاظ على وظيفتك من دون تنافس؟ لا يسعني القول فيما إذا كنتم تستطيعون أولاً، أو فيما إذا كان يتوجب عليكم العمل من دون منافسة. ولكنكم فقط تستطيعون رؤية آثار روح المنافسة: فهي تولد خصومات، والشعور بالخوف، وإصرار قاس على بلوغ مطالبكم

الروحانية أو الدنيوية. انظروا إلى هذا كله، واسألوا أنفسكم إذا ما كان ممكن العيش في هذا العالم من دون تنافس. وهذا يعني العيش من دون مقارنة، ويعني أن تعملوا ما ترغبون بعمله فعلاً، الأمر الذي يهكم للغاية. أما في حالة رأيتم أنفسكم مأسورين لوظيفة لا تحبونها - لكونكم تحملون على عاتقكم مسؤوليات - يعني أنه عليكم أن تكتشفوا كيف تمارسون هذه الوظيفة بفعالية، ومن دون تنافس. وهذا أمر يتطلب الكثير من الانتباه، ألا تعتقدون ذلك؟ إجمالاً عليكم أن تكونوا يقظين إزاء كل فكر، ولكل شعور، يتجلبان فيكم، وإلا فعلى العكس سوف تفرضون على أنفسكم فقط الفكرة بأنه لا يجب أن تتنافسوا، الأمر الذي يصبح مشكلة إضافية. ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا معرفة كل شيء تتضمنه المنافسة، وتدركوا معناها الحقيقي، وكيف يولد صراعاً، وجهداً لا يتوقف، وتفهموا أن التنافس يقود الإنسان على نحو لا يمكن تجنبه (وبالرغم من اعتباره تقدماً، الأمر الذي تم الاعتياد على تسميته "تقدماً" فهو الفاعلية العظمى في التنافس) إلى الخصومة، وانعدام المحبة. إذا ما أدركتم هذا كله، إذاً، وكنتيجة لهذا الإدراك، فإنكم، وبغض النظر إن كنتم تتنافسون، أم لا تتنافسون، فسوف تفعلون على نحو تام.

سائل: لا أظن أن فعلاً يتكرر هو بالضرورة مضجر.

كريشنا مورتى: إن رجلاً يعمل في مصنع، ويقوم بالشئ نفسه على نحو متكرر، ليس بكيونة مُنتجةً جداً، وقالوا لي، إنهم في أميركا يختبرون الآن في بعض المصانع أن يعطوا العمال فرصة للتعلم في الوقت نفسه الذي يمارسون فيه اختصاصاتهم. والنتيجة هي أن عملهم صار أقل رتابة، وبالتالي، أكثر إنتاجية، وأيضاً إنه لأمر يمنحنا سروراً قوياً أن نقوم بشئ ما، وإن تابنا على نحو لا يتوقف الفعل نفسه، فهذا بحد ذاته يجعله روتينياً ومُتعباً.

سؤال: ماذا تقول بخصوص الفنان؟

كريشنا مورتى: في حال كان الفنان يكرر فقط، فهو ليس فناناً. يبدو لي أنها تختلط علينا الكلمتين "تكرار"، و"إبداع" ما هو الإبداع؟
السائلة: الرجل الذي يصنع أحذية جيدة هو إنسان مبدع.
كريشنا مورتى: صناعة أحذية جيدة، القيام بخبز الرغيف، إيلاد أبناء، كتابة أشعار، الخ، الخ. هل هذا إبداع؟ أرجوكم لا توافقوا ولا تعارضوا.

السائلة: لا أدرك كيف يكون الأمر ممكناً في أن يعيش المرء في الفراغ.
كريشنا مورتى: سيدتي، يبدو لي أنه ثمة سوء تفاهم بيننا. أنا آسف.
وعلى الأرجح أن هذا يعود لاختياري للكلمات التي قد لا تكون جيدة جداً، وربما لم تفهموا بالضبط ما أعنيه من كلمة "فراغ". إنما كنا نستمع ونحن نتكلم عن الإبداع.

سمعتهم يقولون في إحدى الجامعات أنهم يعلمون ما يُدعى بـ"القراءة الخلاقية"، و"رسم خلاق". ولكن هل يمكن تعليمك أن تكون أنت نفسك خلاقاً؟ وهل الممارسة المستمرة لأمر معين يمكن أن يُحدث الروح الخلاقية؟ يمكن التعلم من أستاذ تقنية العزف على الكمان، ولكن من الواضح أن التقنية في حد ذاتها، لا تجعل من الإنسان عبقرياً. حينما يتمتع الشخص بذلك الفعل الخلاق، فسوف ينتج التقنية، وليس العكس بالعكس (أي أن التقنية لا يمكنها أن تلد النفس الخلاقية). عموماً، نفكر أننا باكتساب التقنية، فسوف نعثر على شيء آخر (القدرة على أن نكون خلاقين). لنأخذ بعين الاعتبار مثلاً بسيطاً جداً، ما هي حياة بسيطة؟ حياة بسيطة، نقول إنها الحصول على مقتنيات قليلة، نأكل قليلاً، وأن تكون لدينا أملاك قليلة، والامتناع عن فعل هذا أو ذاك. ففي آسيا، ذاك الذي يسير بمئزر واحد فقط، ويتناول وجبة يومية واحدة فقط، يُعتبر

رجل حياة بسيطة، أما على المستوى الداخلي فهذا الإنسان قد يكون في حالة جيشان، مثل بركان، يتحرق بالرغبات، والأهواء، والأطماع. الحياة البسيطة لهذا الإنسان هي حب الظهور، يمكن لدرجة أن الجميع يعترف ويقول "أي رجل بسيط" هذه هي الحالة الحقيقية لمعظم القديسين: يظهرون خارجياً البساطة، ولكنهم على مستوى الداخل هم أناس طمّاعون يضبطون العقل ويجبرونه على التكيف مع نموذج ما، الخ. وهكذا أجد أن البساطة يجب أن تأتي من الداخل أولاً، وليس من الخارج. وعلى نحو مماثل فالفعل الخلاق لا يتحقق بواسطة التعبير. علينا أن نجد أنفسنا في حالة من الفعل الخلاق، وليس في السعي للفعل الخلاق من خلال التعبير. فالعثور على الذات في حالة من الفعل الخلاق إنما هو اكتشاف المطلق، وهذا فقط يمكن حدوثه عندما لا يكون هناك نشاط لـ"الأنا" في أي وجهة كانت.

أن نعود لما قالته تلك السيدة حول الفراغ. عموماً، وبالرغم من علاقاتنا في الخارج بعضنا مع بعض، فإننا نعيش في العزلة، لست أتكلم عن هذه العزلة. الفراغ هو أمر مختلف كلياً عن هذه العزلة. يجب أن يوجد فراغ في ما بيننا، لكي نستطيع رؤية الواحد للآخر، ولا بد أن يتواجد حيث تستطيعون أن تصغوا لما أنا بصدده قوله. والعكس بالعكس. وفي العقل على النحو ذاته، لا بد للفراغ من أن يوجد، أي أنه من الضرورة بمكان ألا يكون العقل مشغولاً بأشياء بمقدار كبير، لدرجة لا يبقى فيها أي فراغ. فقط عندما يكون هناك فراغ في داخل العقل - الأمر الذي يعني ألا يتواجد نشاط متمركز حول الأنا - فقط إذاك بالإمكان أن نعرف ما هي الحياة. أما الحياة في العزلة فهذا غير ممكن.

سؤال: هل يمكنكم أن تقولوا شيئاً ما أكثر بخصوص الطاقة؟

كريشنا مورتى: أي شيء يقام به، حتى الأكثر خلواً من المعنى، يحتاج

إلى طاقة، أو ليس حقيقة؟ النهوض والخروج من هذه الخيمة، التفكير، والأكل، وقيادة السيارة، كل صنف من الفعل يحتاج للطاقة. وعادة، عند القيام بشيء ما، ثمة في داخلنا شكل من أشكال المقاومة التي تبدد الطاقة، ما لم يوفر الفعل الشعور باللذة، ففي حال لم يكن هناك صراع، ولا مقاومة، والطاقة بالتالي تتدفق.

وكما ذكرتُ، فنحن بحاجة للطاقة لكي نكون منتبهين بالكامل. وفي هذه الطاقة ليس ثمة مقاومة، نظراً لعدم وجود شرود. ويحصل الشرود - في اللحظة التي ترغبون فيها بالتركيز على شيء ما، وفي الوقت نفسه، يُنظر من خلال النافذة - ثمة مقاومة، وصراع. والحال هذه، فالنظر من النافذة هام جداً كما النظر إلى أي شيء آخر، وبإدراك هذه الحقيقة، لن يتواجد إذاك شرود ولا صراع.

كي يكون لدينا طاقة مادية، يجب أن تتناولوا طعاماً لائقاً بشكل طبيعي، وأن يتوفر لكم ما يكفي من فترة استراحة، الخ. وهذا ما تستطيعون أنتم أنفسكم اختباره، وليس ثمة حاجة لكي نناقشه. وعلى هذا توجد أيضاً الطاقة السيكولوجية، تتبدد بعدة طرق. ومن أجل الحصول على هذه الطاقة، فالعقل يلجأ للمثيرات، مثلاً يتردد على الكنيسة، يشاهد مباريات كرة القدم، ويستسلم للقراءة، ويستمتع للموسيقى، الخ. وهذه الأشياء كلها تثيركم، وإذا ما رغبتم أن تجري إثارتكم، فهذا يعني أنكم مدمنون نفسياً. والبحث عن مثير يتضمن الإدمان على شيء ما، مشروب، حبة مخدر، محاضر، أو الدخول إلى الكنيسة، ومن المؤكد أن الإدمان على مثير، لا ينهك العقل فقط، بل أيضاً يتيح المجال لتبديد الطاقة. وبالتالي، كي نحافظ على طاقتنا يجب أن يزول كل صنف من التكافل، أو المثير. وكي يزول التكافل، علينا أن نعي إياه، وكي يتم الحصول على الإثارة، فالشخص يعتمد على

امراته، أو الزوج، أو كتاب، أو عمله، أو الذهاب إلى دور السينما - أياً كان الحافز - يجب في الدرجة الأولى إدراك ذلك. والقبول ببساطة المثيرات (المنشطات) فهذا الأمر يبدد الطاقة، ويفسد العقل. ولكن أن نعي هذه المثيرات والمعنى الذي تشغله في حياتنا، فسوف نستطيع أن نتحرر منها. ومن خلال الإدراك الذاتي، الأمر الذي هو ليس بإدانة ذاتية، وإنما أن يكون المرء واعياً ببساطة، ومن دون اختيار من قبله، يمكن للإنسان أن يعرف الأشياء كلها، للتأثير، فأشكال التكافل كلها، وأشكال الإثارة كلها، وهذه الحركة ذاتها لفعل التعلم يمنح المرء الطاقة الضرورية لكي يتحرر من التبعيات والمثيرات كلها.

26/تموز/1964

الفصل الثامن كلانية الحياة

ربما نستطيع في هذا الصباح، أن ننحّي جانباً مشاكلنا، المشاكل الاقتصادية، والمشاكل التي تخص علاقاتنا الشخصية، ومشاكل المرض، وتلك المشاكل الأكثر أهمية التي تحيط بنا، من نظام قومي ودولي: الحرب، والجوع، والثورات الشعبية، الخ. لا نريد الهروب منها، ولكن إذا استطعنا تتحيتها جانباً على الأقل في هذا الصباح، لربما نقدر على تأهيل أنفسنا لكي نتأملها بطريقة مختلفة، بعقل أكثر حداثة، وبإدراك أكثر نفاذاً، وعلى هذا النحو، نهاجمها بطريقة جديدة، وبوضوح وقوة أعظم.

يبدو الأمر بالنسبة لي، أن الحب يمكنه فقط أن يقود إلى الثورة الصحيحة، وأي شكل آخر من الثورة، أي الثورة القائمة على أساس نظريات اقتصادية، وأيديولوجيات اجتماعية، الخ، يمكنها فقط أن تتسبب بفوضى أكثر، وتشويش أكثر، وعذاب. ليس ثمة أمل بالعثور على حل للمشكلة الإنسانية الأساسية من خلال الإصلاحات، وإعادة تشكيل المنظمات غير النزيهة. فقط حينما يتواجد حب، نستطيع الحصول على رؤية كلية، وبالنتيجة، نحقق فعلاً تاماً، عوضاً عن هذا النشاط غير

التام والجزئي، وهو ما ندعوه حالياً ثورة، الأمر الذي لا يقودنا إلى أي شيء.

أرغب في هذا اليوم أن أتكلم عن شيء يشتمل على كلانية الحياة، شيء ليس مجزئاً، وإنما يشتمل على مدخل كلي للوجود الإنساني، وكيفية نستطيع الدخول بعمق ما في هذا الموضوع، يتوجب أن نحرر أنفسنا من كل النظريات والعقائد وقوانين الإيمان. وعموماً نحرث تربة العقل من دون توقف، ولكننا على ما يبدو لم نبذرنا إطلاقاتاً، ولم نحللها، ولا تفحصناها. نقوم بتفكيك الأشياء، ولكننا لا نفهم حركة الحياة.

أفكر بتواجد ثلاثة أمور، يتوجب فهمها بعمق لكي نستطيع الشعور بالحركة الكلية للحياة، وهذه الأمور هي: الزمن، والمعاناة، والموت. أن نفهم الزمن، ونفهم المعنى التام للمعاناة، وأن "نتعايش مع الموت"، فهذا كله يقتضي نقاء الحب. وليس الحب بنظرية، ولا بمثال. إما أن يحب الشخص أو لا يحب. والحب لا يمكن تعليمه. لا تستطيعون اتخاذ دروس لكي تتعلموا الحب، ولا يوجد أي منهج بواسطة ممارسة يومية له يمكنه أن يصل بكم إلى أن تعرفوا ما هو الحب. ولكنني أظن أنه يمكن الوصول للحب بشكل طبيعي، وبسهولة، وبعمق، حينما يفهم فعلاً معنى الزمن، والعمق الفائق العادة للمعاناة، والنقاء الذي يأتي مع الموت. وعلى هذا النحو، ربما نستطيع أن نأخذ بعين الاعتبار - فعلاً، وليس نظرياً، أو تجريباً - طبيعة الزمن، والطبيعة أو بنية المعاناة، وهذا الشيء الخارق الذي ندعوه "موتاً". وليست هذه الأمور الثلاثة منفصلة. وإذا ما فهمنا ما هو الزمن، فسوف نفهم ما هو الموت، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للمعاناة أيضاً. ولكننا إن تأملنا الزمن كشيء منفصل عن المعاناة، والموت، وحاولنا إشغال أنفسنا به على نحو منعزل، فسيكون وصولنا إذاك مجزئاً، وبالنتيجة لن ندرك إطلاقاتاً، جمال الحب الرائع، وحيويته.

لنبحث إذناً في موضوع الزمن، ليس على نحو مجرد، وإنما على أنه شيء واقعي، ونعتبر الزمن ديمومة واستمرارية الوجود، ثمة الزمن التسلسلي، الساعات، والأيام التي تمتد على مدار ملايين السنين، والزمن التسلسلي هو الذي أنتج العقل الذي نعمل من خلاله. العقل هو نتيجة الزمن كاستمرارية للوجود، واكتماله، أما صقله من خلال هذه الاستمرارية فهو ما ندعوه "تطوراً". والزمن أيضاً هو الديمومة السيكولوجية التي تم إيجادها من خلال التفكير كواسطة للامتلاء. نستفيد من الزمن من أجل التطور والامتلاء و"الصيورة"، ومن أجل الوصول إلى نتيجة ما، وعادة، فالزمن بالنسبة لنا هو سلّم يقود إلى شيء ما ذي أهمية عظمى، عند تطور ملكات ما، وعند اكتمال تقنية معينة، ولتحقيق غاية، وهدف قابل للحمد أو لا، فإننا نحكم بأن الزمن ضروري من أجل إدراك الحقيقي، والإلهي، وذاك الذي يتجاوز المجهود الإنساني كله.

عادة ما نأخذ بعين الاعتبار الزمن كفترة ديمومة بين اللحظة الحاضرة، ولحظة ما في المستقبل، وحين تتحقق أهدافنا، ويفيدنا هذا الزمن في نمو طبعنا، وفي أن نتحرر من عادة ما، وننمي عضلة أو رؤية الأشياء. ثمة ألفاً عاماً قد أشرط العقل المسيحي لكي يؤمن بمخلص، وبالجحيم، وبالسما. وفي الشرق نستطيع التحقق من إشارات مميز منذ زمن سحيق. نفكر بأن الزمن ضروري بالنسبة لكل شيء علينا أن نفعله، أو نفهمه، وبالتالي، يصبح عبءً وعائقاً لإدراك الحقيقي، ويمنعنا من رؤية حقيقة أي شيء حالياً، لأننا نفكر بأن الزمن ضروري لأجل ذلك. نقول "غداً، أو من الآن فصاعداً، سأفهم هذا الشيء الفائق للعادة. وفي اللحظة التي نعترف فيها بالزمن، فإننا نعزز التراخي، وذاك الكسل الخاص الذي يمنعنا من رؤية الشيء على ما هو عليه حالياً.

لنفترض أننا نحتاج للزمن من أجل القضاء على الإشارات الذي فرضه علينا المجتمع بأديانه المنظّمة، وقوانينه الأخلاقية، ومعتقداته، وعجرفته، وروحه التنافسية. نفكر ضمن مصطلحات الزمن، لأن الفكر هو نتاج الزمن. الفكر هو ارتجاع الذاكرة باعتبار أن الذاكرة هي القاع الذي تم التراكم فيه ووراثته واكتسابه من خلال السلالة، والاستمرارية، والجماعة، والعائلة، والفرد. وهذا القاع يُنتج سياقاً زائداً للعقل، وتراكمه قد أخذ وقتاً. وبالنسبة لمعظم الأشخاص، فالعقل هو ذاكرة. وحالما يوجد تحدّ، وضرورة، فالذاكرة هي التي "تستجيب". واستجابتها هي كمثال استجابة "دماغ إلكتروني" الذي يعمل من خلال ربط المعلومات. وباعتبار الاستجابة هي ارتجاع الذاكرة، فالفكر هو نتاج للزمن من خلال طبيعته نفسها، وهو بدوره يوجد الزمن.

انتبهوا لما أقوله، فهو ليس بنظرية، أو شيء يجب أن تتأملوا فيه. لستم بحاجة للتأمل فيه، بل رؤيته على ما هو عليه، لأنه هكذا هو. إنني لا أدخل في تفاصيله المعقدة والطفيفة، وإنما أشير لكم تجاه الوقائع الجوهرية، وأنتم ترونها أو لا ترونها. وإذا ما اتبعتُموني، ليس فقط بما أتفوه به بالمعنى اللفظي الاستدلالي أو التحليلي، بل بالرؤية فعلاً لـ"الموجود"، وستدركون كم هو مفضلُ الزمن، والمسألة إذاً، فيما إذا كان الزمن قد توقف. وفي حال كنا قادرين على رؤية السياق كله لنشاطنا نفسه، رؤية عمقه، وسطحيته، وجماله، وبشاعته، ليس غداً، بل حالياً، وإذاك فهذا الإدراك نفسه هو الفعل الذي يدمر الزمن.

إذا لم نفهم الزمن، فلن نفهم المعاناة. هما ليسا كما سعيينا لجعلهما شيئين مختلفين. أن يشغل المرء وظيفة، ويكون أسرة، ويولد ذرية، ليست أحداث منفصلة ومنعزلة، على العكس، فهي مرتبطة باطنياً بعمق، ولا نستطيع أن ندرك هذه العلاقة الباطنية من دون رهافة إحساس صادرة

عن الحب.

كي تُفهم المعاناة، يتوجب بالفعل أن تُفهم طبيعة الزمن وبنية الفكر. على الزمن أن يتوقف، وإلا على العكس سنظل نكرر فقط المعلومات التي راكمتها بالضبط كما هي حال الدماغ الإلكتروني، وما لم ينته الزمن، الأمر الذي يعني نهاية الفكر، فسوف يتواجد تكرار أكثر وتكيف وتغيير مستمر. ولن يوجد شيء جديد إطلاقاً. نحن مثل أدمغة إلكترونية "مجمدة"، ربما أكثر استقلالاً بقليل، ولكننا مكّنتنا في طريقتنا بالعمل على الدوام.

كي نفهم طبيعة المعاناة، وكيف يمكنها أن تنتهي، علينا أن نفهم الفكر. فالاثان لا يتواجدان منفصلين. وعند فهم الزمن فالأمر يلامس الفكر. وفهم الفكر هو إبطال الزمن، وبالنتيجة إنهاء للمعاناة، وإذا كان هذا الأمر واضحاً بالكامل، نستطيع إذّاك أن ننظر إلى المعاناة، لا أن نتعبّد لها، أو ندمرها. نضعها في معبد، وفي كنيسة، أو في "ركن مظلم" للعقل حيث ندعّن إلى طقس من الخشية، أو نحترقها، ونترأّ منها، أو نهرب. ولكننا هنا لا نفعل شيئاً من هذا القبيل. رأينا منذ آلاف السنين أن الإنسان يصارع مع مشكلة المعاناة، من دون تمكّنه من إيجاد حل لها حتى الآن، وهكذا كفّ عن القسوة تجاه نفسه، وقبّل بالمعاناة معتبراً إياها جزءاً لا يتجزأ من الحياة.

والحال هذه، إن مجرد قبول المعاناة، فالأمر ليس بلاهة فحسب، وإنما يساهم أيضاً في إضعاف العقل. ويجعله عديم الإحساس، وقاس، وسطحي، وبالنتيجة، تصبح الحياة زائفة، ومجرد سياق عمل وتكاثر. ويتخذ الإنسان وجوداً متحركاً، كرجل أعمال، أو عالم، أو فنان، وشاعرياً، أو شخصاً يقال عنه إنه متدين، الخ. ولكن، كي نفهم المعاناة، وننتحرر منها، علينا أن نفهم الزمن وبالتالي، يُفهم الفكر. لا يمكن إنكار

المعاناة أو الهروب منها، فنلجأ إلى الله، وللكنائس، وللعقائد المنظمة، ولا يتوجب قبولها، وتأليهها، وكى يتم تجنب ذلك، نحتاج إلى انتباه قوي، الأمر الذي هو طاقة.

إن المعاناة متجذرة في الشفقة على الذات. وكى نفهمها يكفي إنهاء الشفقة على الذات. لا أدري فيما إذا لاحظتم كيف تشعررون بالأسف تجاه أنفسكم ذاتها عند قولكم: "أنا وحيد في العالم" ويتواجد الشغف بالذات، فهذا يعني أنكم تهيئون التربة حيث تمتد المعاناة جذورها. وما إن تسوَّغوا الشفقة على الذات، وما إن تعقلنوها، وتسعوا إلى صقلها، وكسوها بأفكار، فهي سوف تظل موجودة، تضنيكم بعمق. وكى يستطيع الإنسان أن يفهم الأسف، سيتوجب عليه أن يتحرر من هذه الوحشية، وتقاهة التمرکز على الأنا التي هي الأسف على الذات. يمكنكم الشعور بالشفقة على الذات بسبب المرض، أو موت كائن عزيز على قلبكم، أو لعدم كونكم قد حققتم ذاتكم، وبالتالي، تشعررون بالإحباط، ولكن على نحو مستقل عن سببه، فالشفقة على الذات هي جذر المعاناة. وذات مرة، تتحررون من هذا الشعور، فسوف تستطيعون مواجهة المعاناة من دون أن تقدموا لها طقساً، ومن دون الهروب منها، أو من دون منحها معنى سامياً، وروحانياً، كما على سبيل المثال حين نقول إنه يجب علينا أن نتعذب كي نعثر على الله، الأمر الذي هو مناف للحس السليم، وفقط العقل المخدر، والأحمق يتطابق مع المرارة. وبالنتيجة، لا يجب علينا قبولها بأي شكل من الأشكال، ولا رفضها. وعند تحرركم من الشفقة على الذات، فأنتم تتجردون من كل العاطفية والانفعالية التي تحدث، وستكونون مهئين للنظر إلى المعاناة بانتباه كلي.

أمل أن ما تقومون به سوية معي، في هذه الرحلة وعدم قبولكم فقط على المستوى اللفظي ما يقوله المحاضر. كونوا حريصين إزاء القبول

المنفعل للمعاناة، وتسويغها من خلال الأعذار، والشفقة على الذات،
والعاطفية، والموقف الانفعالي، والمرارة، نظراً لكون كل هذا تبيداً
للطاقة. كي تفهموا المعاناة، يتوجب أن تطبقوا الانتباه كله، وفي هذا
الانتباه ليس ثمة مكان للأعذار، وللعاطفة، وللتسويغ، وليس ثمة مكان
لأي صنف من الشفقة نفسها.

إنني أشدد على الحاجة لكي نولي انتباهاً كاملاً للمعاناة. وفي هذا
الانتباه، ليس ثمة مجهود لكي نجد حلاً لها، أو فهمها. فالشخص ينظر
فقط ويرصد. وكل مجهود من أجل الفهم والتسويغ أو الهروب، يعيق تلك
الحالة المحايدة للانتباه التام، حيث يمكن فهم هذا الشيء الذي يُدعى
معاناة.

لسنا في صدد التحليل، ولا التقصي تحليلياً للمعاناة بهدف أن نتحرر
منها، لأن هذا فقط حيلة عقلية إضافية. العقل الذي يحلل المعاناة يظن
أنه قد فهمها، وأنه تحرر منها. إنه أمر مناف للحس السليم. يمكنكم أن
تحرروا أنفسكم من شكل محدد من المعاناة، ولكنها سوف تظهر ثانية
بشكل آخر. نحن نتكلم عن المعاناة في كلانيتها، المعاناة في حد ذاتها،
سواء كانت خاصتكم أم خاصتي أو خاصة أي كائن إنساني آخر.

كما ذكرت، كي تُفهم المعاناة، من الضرورة بمكان أن يُفهم الزمن
والفكر. وهذا أمر يتطلب إدراك من دون اختيار، لأشكال الهروب كلها،
وللشفقة على الذات كلها، وللتعبيرات اللفظية كلها، على نحو يهدأ فيه
العقل أمام شيء يجب فهمه. إذاً، ليس ثمة انقسام بين الراصد والشيء
المرصود. ليس ثمة ذلك، على أنه راصد، ومفكر، يرصد المعاناة، هناك
فقط حالة المعاناة، و"حالة المعاناة هذه" غير المنقسمة، ضرورية لأنه
عندما تتظرون للمعاناة كراصد فسوف توجدون صراعاً يخرُّ العقل،
ويبدد الطاقة، وبالنتيجة لن يكون هناك انتباه.

لما يفهم العقل طبيعة الزمن، والفكر، وعندما يستأصل الشفقة على الذات، والعاطفية، والانفعالية، الخ. إذأ فالفكر الذي أوجد هذا التعقيد، ينتهي، ويكف الزمن عن الوجود إذ لا حاجة له بعد، وهكذا تكونون باطنياً على اتصال مباشر مع هذا الشيء الذي ندعوه معاناة. تحافظ المعاناة على ذاتها فقط عند هروبنا منها، وحين نرغب بتثقيتها أو تأليها. أما حين لا يتواجد شيء من هذا القبيل، لأن العقل على اتصال مباشر مع المعاناة، وبالنتيجة يكون العقل صامتاً بشكل تام بخصوصها، ستكتشفون إذآ أنكم تحررتم منها. وما إن نكون على اتصال مباشر مع العذاب، فهذا الواقع في حد ذاته، فقط يلغي العوامل كلها التي تنتجها والمتعلقة بالزمن وبالفكر، وهكذا تتوقف المعاناة كلها.

والآن، كيف لنا أن نفهم هذا الشيء الذي ندعوه "موتاً"، ويرعبنا كثيراً؟ أوجد الإنسان طرقاً كثيرة معوجة في تأمل الموت، وتأليها، وإنكاره، وتعلقنا بعدد لا يحصى من العقائد، الخ. ولكن كي يفهم الموت، لابد من تأمله بطريقة جديدة، لأنه في واقع الأمر لا نعرف شيئاً حول الموت، هل تعرفون؟ قد ترون أشخاصاً يموتون، وترصدون في داخلكم أو في آخر يقترب من الشيخوخة ذلك الفساد الملازم له. تعلمون أنه ثمة انتهاء للحياة المادية، من خلال الشيخوخة، والحوادث، والمرض، والقتل أو الانتحار، لكنكم لا تعرفون الموت كما تعرفون الجنس، والجوع، والقسوة، والوحشية. تجهلون ما هو الموت، لطالما لا تعرفونه، فلن يكون للموت أي معنى. ما تخشونه هو تجريد، شيء لا تعرفونه، وعدم معرفة كمال الموت، أو ما يتضمنه، فالعقل يخاف منه، خوف فكري، وليس من الواقع الذي نجعله.

لنتفحص ذلك بعمق...

إذا ما وافقتا المنية بشكل مفاجئ، فلن يكون لدينا وقت لكي نفكر

بالموت، ولخشيتته. ولكن ثمة فاصل بين الآن واللحظة التي سوف يمثل فيها الموت، وخلال هذا الفاصل لديكم الكثير من الوقت لكي تقلقوا وتعملوا على عقلنته. ترغبون بأن "تتقلوا" إلى الحياة القادمة همومكم كلها ورغباتكم ومعارفكم التي راكمتوها، وعلى هذا النحو، تبتكرون نظريات أو عقائد حول نوع ما من الخلود. وتعتبرون الموت شيئاً منفصلاً عن الحياة. فالموت هناك، وأنتم هنا، منشغلون بالعيش، وقيادة سيارتكم، وبأن تكون لديكم علاقات جنسية، وبأن تنفذوا، وتمارسوا نشاطكم، وتراكموا معارفكم، الخ. لا ترغبون بالموت لأنكم لم تنتهوا بعد من الكتاب الذي تكتبونه، أو لأنكم لم تتعلموا بعد العزف على الكمان بـ"براعة". لذلك تفضلون الحياة عن الموت، قائلين: "الآن سأفهم الحياة" وفي الوقت المناسب سأفهم الموت". لكن الاثنين ليسا منفصلين، وها هو الأمر الذي يهم أن نفهمه بالدرجة الأولى. تشكل الحياة والموت كلاً، وهما مرتبطان باطنياً، ولا يمكن عزل الواحد منهما عن الآخر، والسعي إلى فهمه على نحو منفصل عن الآخر. وهذا في واقع الأمر ما نفعله عادة. نجزئ الحياة على شكل مقصورات عازلة. فإذا كنتم علماء اقتصاد، فعلم الاقتصاد إذاً هو كل ما يهمكم، ولن تعرفوا شيئاً حول الباقي. وإن كنتم أطباء مختصين بالأنف والحنجرة، أو بالقلب، فسوف تمضون سنين وأنتم تتبعون هذا الحقل المحدود من المعرفة، وعندما تموتون فهذه هي سماؤكم.

كما ذكرت، فإن اعتبار الحياة بشكل جزئي، يعني أن نعيش بفوضى متواصلة، وتناقض، وعذاب. عليكم أن تتروا كلاً من الحياة، وفقط يمكن رؤية هذه الكلائية حينما يكون هناك حنان وحب. الحب هو الثورة الوحيدة التي تقود إلى النظام. إنه لأمر عديم الجدوى أن يتم اكتساب معارف ثابتة كالرياضيات، والطب، والتاريخ، والاقتصاد، وفيما بعد

يجري جميع هذه الأجزاء كلها، وهذا لن يحل أي شيء، ومن دون الحب، فالثورة تؤدي فقط إلى تأليه الدولة، أو إلى عبادة صورة، أو إلى ضلالات تعسفية لا تُعدّ ولا تحصى، وإلى تدمير الإنسان. وعلى النحو نفسه، عندما يضع العقل الجبان الموت على مسافة منه، فاصلاً إياه عن العيش اليومي، فإن انفصلاً كهذا يؤدي فقط إلى خوف أكثر، وقلق أكثر، وإلى نظريات متعددة في ما يتعلق بالموت. وكما نفهم الموت فمن الضرورة بمكان أن نفهم الحياة. ولكن الحياة ليست استمرارية للفكر، فإن استمرارية كهذه هي المسؤولة عن عذاباتنا كلها.

وهكذا، فهل يستطيع العقل أن يجلب الموت من المسافة التي يعثر على نفسه فيها إلى الحالي "الآن"؟ الموت بالتالي، لا يجد نفسه في أي مكان بعيد، فهو حاضر الآن وهنا. إنه حاضر لما نتكلم، وحينما نرقه عن أنفسنا، وعندما نصغي، ولما نتوجه إلى العمل، إنه هنا في كل لحظة من الحياة، بالضبط كما هو الحب. فأن ندرك هذا الواقع، يكف إذاك عن تواجد الخوف من الموت. لا نخشى المجهول، بل فقدان المعلوم. نخشى فقدان عائلتنا، وفي أن نبقى وحيدين من دون رفاق، ونخشى ألم الوحدة، وأن نُحرّم من التجارب، ومن الملكيات المتراكمة. إنه المعلوم الذي نخاف أن نتخلى عنه. المعلوم هو الذاكرة، الذاكرة التي نتعلق بها. ولكن الذاكرة هي شيء آلي لا أكثر، كالحواسيب التي تبرهن على ذلك زيادة.

كنا نفهم الجمال والطبيعة الخارقة للموت، لا بد لنا أن نتحرر من المعلوم. ففي الموت عن المعلوم تكمن بداية فهم الموت، لأن العقل يصبح إذاك حديث العهد، وجديداً، وما من أي خوف يوجد بعد. وبالنتيجة، يمكن الدخول في تلك الحالة التي تدعى "الموت". وهكذا من البداية حتى النهاية، فالحياة والموت ليسا منفصلين. العارف يفهم الزمن والفكر والمعاناة، وفقط هو يكون قادراً على فهم الموت. العقل الذي يموت في كل

لحظة، ولا يقوم بتجزئة التجربة، يكون طاهراً، وبالتالي، يجد نفسه في حالة من الحب الدائم.

هل ترغبون بتوجيه أسئلة حول هذا الموضوع لكي نتوغل فيه أكثر؟
سؤال: ما هو الاختلاف بين تفكيركم، والتفكير المسيحي في ما يتعلق بالحب؟

كريشنا مورتى: أشعر أنه ليس بمقدوري أن أقول ذلك. فانا لا أفكر بالحب. ولا يمكن التفكير بالحب. وإذا فعلت ذلك، فلن يكون حباً. كما يتوجب أن تعرفوا، فثمة اختلاف هائل بين الجنس والفكر حول الجنس، الأمر الذي يحرّض الإحساس. العقل الذي ينشغل بمجرد إشباع جنسي، والذي يفكر بالجنس، والذي يستثار من خلال المشاهد والوجوه والأفكار، إنه نوعية مدمرة. في حين "الأمر الآخر" (الحب) يختلف كثيراً: نشعر به من دون تدخل الفكر. وعلى نحو مشابه لا يمكن التفكير في الحب، وفقاً لنموذج ذاكرتنا، أو وفقاً لما سمعتم ما قيل عنه، على أنه جيد، دنيوي، مقدس، الخ. لأن هذا التفكير ليس هو الحب. والحب ليس مسيحياً، ولا هندوسياً، ولا شرقياً، ولا غربياً، ليس خاصتكم، ولا خاصتي. فقط لما يتحرر الشخص من هذه الأفكار كلها النابعة من القومية، والسلالة، والدين، الخ. فقط إذاك يُعرف الحب ما هو.

انظروا، كنت أتكلم في هذا الصباح حول الموت، من أجل فهمه جيداً، وليس فقط بينما أنتم هنا في هذه الخيمة، وإنما خلال حياتكم، وبالنتيجة تتحررون من المعاناة، والخوف، وتعرفون فعلاً ماذا يعني الموت. الآن، وفي الأيام القادمة، فإن عقلكم يبقى يقظاً، سليماً، وسوياً. وإذاكم فمجرد الاستماع للكلمات سيكون عديم الجدوى. أما إذا وجدتم أنفسكم بعمق منتبهين وواعين لأفكاركم ومشاعركم، ولا تقومون بتفسير ما يقوله المحاضر، بل ترصدونه فعلاً بأنفسكم، ولطالما يجري وصف

المشكلة والنفاذ فيها، إذأ، بعدما تخرجون من هنا لن تعيشوا بجذل
فحسب، بل مع الموت والحب.

1964/تموز/28

الفصل التاسع العقل المستنير

أرغب في هذا الصباح، أن أتكلم عن موضوع ربما يكون غريباً بالنسبة للبعض منكم. ويبدو لي أن من أمور الحياة الأكثر أهمية هو تنقية العقل، وإفراغه من كل تجربة، أو فكر، على نحو يصبح فيه غضاً، وجديداً، وسوياً، لأنه فقط العقل السوي يستطيع بحريته أن يكتشف الحقيقي. وسلامة العقل هذه ليست حالة دائمة، ولا تعني أن العقل قد بلغ نتيجة ويبقى عندها. بعبارة أخرى، إنها حالة العقل وهو يجد نفسه متحرراً، وقادراً على تجديد نفسه في كل لحظة من دون مجهود. وهذا التجديد، وحرية الاكتشاف هذه، فهي أمر ذو معنى هائل، ذلك أن أغلبية الناس يعيشون سطحياً، ويحيون بمعارفهم، ومعلوماتهم التي يكتفون بها. ولكن، من دون تأمل، فحياتنا تكون جد سطحية. ولا أفهم من كلمة "تأمل"، تفكيراً، أو دعاءً. وكي يجد الشخص نفسه في "حالة تأمل"، أو من أجل الدخول فيها بشكل طبيعي، ومن دون مجهود، يجب أولاً فهم العقل السطحي، والعقل الاعتيادي، ذلك الذي يكتفي عموماً بالمعلومات. ويكوننا قد راكمتنا معارفاً، أو اكتسبنا قدرة تقنية تؤهلنا لممارسة تخصص محدد. وكي نحيا في هذا العالم بلا مسؤولية، فإننا نرتضي في

العيش على هذا المستوى، من دون أي فهم لأي مشكلة سيكولوجية تمثل أمامنا عَرَضاً. يبدو لي إذاً، أنه أمر هام للغاية أن يتم رصد سطحية العقل والتقصي فيما إذا كان يستطيع تجاوز نفسه ذاتها .

وبقدر ما يكون لدى شخص معرفة أكثر، ويكون مهياً، بقدر ما تكون إمكانيته أعظم في الحياة اليومية، وإنه واضح أننا نحتاج إلى هذه المعارف، وهذه التهيئة، وهذه الإمكانية، ذلك أننا لا نستطيع أن "نرمي خارجاً" المكنتات، والعلم، والشروع بالعودة إلى الحالة البدائية. وسيكون ذلك تصرفاً مثل بعض الأشخاص الذين نعتبرهم "متدينين"، ويريدون الرجوع إلى موروث، أو النهوض بمفاهيم قديمة، وصيغ فلسفية، مدمرين بهذه الطريقة أنفسهم ذاتها، والعالم الذي يعيشون فيه.

إن العلم والرياضيات والتقنيات التي هي تحت تصرف الإنسان حالياً، فهي أمور ضرورية بالمطلق. ولكن العيش في هذا العالم التكنولوجي المكوّن من المعارف والتصوير الذي سرعان ما يتضخّم، ويجعلنا سطحيين، ونرتضي عموماً بالاستمرار في هذه السطحية. وبما أن المعرفة والتكنولوجيا تجعلاننا نكسب مالاً أكثر، وارتياحاً أكثر، وما نفترضه على أنه "حرية" أكثر، فهذه أمور محترمة جداً في مجتمع منحط، وفي حالة انحلال. وعلى هذا النحو، كي يتمكن العقل من تجاوز نفسه ذاتها، على العقل أن يفهم محدودية التكنولوجيا، والمعرفة، والتصوير، ويتحرر من هذه المحدودية.

كما يمكن رصد نشاطاتنا، وانفعالاتنا، وردود أفعالنا العصبية، وهي عميقة بعض الشيء، وسطحية، فنحيا كما يحيا الأغلبية على السطح. ونحن نسعى لبلوغ الأعماق، نافذين كل مرة إلى ما هو أكثر عمقاً، لطالما نتعب من طريقة العيش بتلك الطريقة التي يتبعها الأغلبية. وبقدر ما نكون أكثر ذكاءً وعقلانيين أكثر، وشغوفين، بقدر ما ندرك سطحية

وجودنا، وكيف تصبح متعبة، ومُضجِرة، ولا معنى لها. وهكذا يتطرق العقل السطحي لاكتشاف غائبة الحياة، أو يسعى إلى طريقة تضيي عليه معنى. ويصارع هذا العقل لكي يعيش بالتوافق مع فكرة هو نفسه قد تصورهما، أو بالتوافق مع عقيدة قَبْلَ بها، ولذلك فهو يعمل دائماً بطريقة سطحية. ومن الضرورة بمكان أن يتم إدراك هذا الواقع بالوضوح كله.

ما سوف نقوم به هذا الصباح، هو انتزاع طبقة واحدة فواحدة من الطبقات السطحية، لكي ننفذ حتى الأصل، حتى آخر عمق للأشياء. تدوم السطحية من خلال التجربة، ولهذا السبب يجب فهم المعنى الكامل للتجربة.

رأينا أولاً بالنسبة للتخصص التكنولوجي من كل نوع أنه يميل لجعل العقل ضيقاً، واعتيادياً، ومحدوداً، صفات تشكل الحقيقة الجوهرية للبورجوازي. إذاً، السطحي على ما هو عليه، يبحث عما يُدعى "معنى الحياة"، مسقطاً في الوقت نفسه، نموذجاً مناسباً له، يدرُ عليه بالأرباح، ويكون ممتعاً، ويتكيّف مع هذا النموذج. ويخوِّله هذا السياق تعريفاً ما، وشدة تأثير، وحساً بتحقيق الذات.

ويجب الفهم أيضاً بعمق لهذا الشيء الذي ندعوه "تجربة". أن نعيش حياة سطحية، يعني أننا نبحث دوماً عن تجارب أكثر اتساعاً وعمقاً. ولهذا السبب يتردد الكثيرون على الكنائس، أو يتعاطون المسكالين Mescalina ويجربون الـ LSD-25 الأسيد الحمضي (المهلّس)، وعدة مخدرات أخرى، في سعي لإثارات جديدة، وتحريضات، وأحاسيس. نلتمس تجربة أيضاً من خلال الفن، والموسيقى، والأخبار، وأشكال التعبير الأكثر حداثة.

حسناً، فالعقل الذي يرغب بأن يجد نفسه في عمق كبير، فإنه يجد

نفسه، ولا يثير هذه الحالة، وفقط عليه أن يفهم هذه الأشياء كلها .
"الفهم" ليس فهماً فكرياً فقط لتواصل لفظي، إنما إدراك آني (فوري)
للحقيقة المتعلقة بالمسألة. وهذا الإدراك الحالي يكون فهماً . من الممكن
البرهان والمناقشة على نحوٍ لا ينتهي لجعبة من الآراء، ولكن هذا لا
يؤدي إلى ولادة الفهم. فهذا الأخير يتطلب، رهافة إحساس، وإدراك،
وموقف تجريبي، الأمر الذي يمنحنا الإمكانية على التعلم بسرعة.

وهكذا، فما هي طبيعة التجربة؟ جميعنا نرغب بتجارب جديدة،
أوليس حقيقة؟ نحن مُتعبون من "القديم"، ومن الأشياء التي تسبب لنا
ألماً أو معاناة. روتين المكتب، والطقوس الدينية، وطقوس عبادة الدولة،
ونحن مُشبعون بهذا كله، ومُتعبون، ومُستنفدون، وانطلاقاً من هنا نرغب
بتجارب جديدة، وعلى مستويات مختلفة. ولكن، بالتأكيد فقط الشخص
الذي لا يسعى، ولا يراكم تجربة، سيكون بمقدوره أن يحيا بعمق.

تنجم التجربة عن تحدٍ و"استجابة". الارتجاع الشخصي لتحدٍ يمكن
أن يكون لائقاً أو غير لائق، وفقاً لطريقتنا بالوجود، وإشرائنا. أي أننا
"نستجيب" لكل تحدٍ وفقاً لِقَاعِنَا، وقيدينا نفسه. وهذه "الاستجابة"
للتحدي هي التجربة، وتترك كل تجربة بقية ندعوها معرفة.

وبعبارة أخرى، المرور بعدة تجارب، ينشط العقل كغريبال، حيث تترك
كل تجربة ترسباً ما . وهذا الترسب يصبح ذاكرة، وبهذه الذاكرة نذهب
لمواجهة التجربة القادمة. وهكذا، كل تجربة - من الأكثر اتساعاً وعمقاً
وحيوية - تترك إيداعاً جديداً من الترسب أو الذاكرة جاعلاً إشرائنا
أكثر قوة.

طبعاً، فهذا ليس رأياً، وليس مسألة عقائدية في صدد ما نقوله. إذا
ما رصدتم، فسوف ترون أن هذا ما يحصل بالفعل. وهذا المحاضر
يصف كيف تكون خاصية العقل الذي يراكم التجربة، وترصدون هذا

"السياق" في دواخلكم. وبالتالي ليس ثمة شيء للإيمان به، ولا أنتم تُؤمّون مغناطيسياً من خلال الكلمات.

وعلى هذا، فكل تجربة من أي طبيعة كانت تترك ترسباً، يصبح ماضياً متحولاً إلى ذاكرة، وفي هذه البقية نعيش. وهذا الترسب هو "الأنا" البنية الحقيقية للنشاط المتمركز حول الأنا. وبإدراكنا للطبيعة المحدودة لهذا النشاط ذاتي المركز، نسعى إلى تجارب جديدة أكثر اتساعاً، أو أننا نتساءل كيف يمكن قطع هذا القيد من أجل العثور على شيء أسمى. ولكن كل التماس لهذه الطبيعة لا يزال نشاطاً تراكمياً، وسوف يزيد من البقية، وترسب التجربة، سواء كانت تجربة لدقيقة، أم ليوم، أو لملايين السنين.

والحال هذه، عليكم أن تتروا هذا الواقع بالوضوح كله. وعليكم أن تعوه كما تعون جسدكم حين يكون جائعاً. ولما تشعرون بالجوع، فلا أحد يحتاج أن يقول لكم شيئاً، فالأمر يتعلق بتجربة شخصية خاصتكم. وعلى نحوٍ مشابه يجب أن تدركوا بوضوح، بأنفسكم، أن كل تجربة بالعطف، والشغف، والفرور، والغيرة، والإلهام، والخوف، وأي تجربة أخرى، فإنها تترك بقية في العقل، ومع تكرارها المستمر، وتموضع طبقات جديدة من هذا الباقي أو الترسب، يتشكل من ذلك كله كلانية سياق تفكيرنا، ووجودنا، وبالتالي فكل نشاط ناشئ من هذا السياق على أي مستوى كان لا بد أن يكون سطحياً على نحو لا يمكن تجنبه، فالعقل الذي يرغب بتقصي إمكانية اكتشاف حالة من الأصالة، أو عالم غير ملوث بالماضي، عليه أن يفهم سياق التجربة هذا.

وهكذا، يفرض هذا السؤال نفسه: هل من الممكن أن يبقى المرء حراً من كل النشاط ذاتي المركز، من دون أي مجهود، ومن دون المحاولة لحله إذ يتحول بهذه الطريقة إلى مشكلة؟

أمل أن يكون السؤال واضحاً جداً، إن كان الجواب لا، فما سأقوله لاحقاً سيكون مبهماً.

الآن، الكلمة "تأمل" تعني عموماً، التفكير في موضوع ما، وتقصيه، وإمعان النظر بعمق فيه، أو يمكن أن يعني حالة عقلية استغراقية بمعزل عن سياق الفكر. إنها كلمة لا تعني الكثير في الغرب، ولكنها تعني الكثير في الشرق. وقد كُتِبَ الكثير حول هذا الموضوع، وثمة مدارس تتشر مناهج أو طرق للتأمل.

لا شيء من هذا القبيل هو التأمل بالنسبة لي. التأمل هو "إفراغ" كلي للعقل، ولا يمكن إفراغه بالقوة، وفقاً لمنهج ما، أو مدرسة، أو طريقة. غير مرة ضروري إدراك خداع الطرائق كلها. فممارسة طريقة للتأمل هي سعي لتجربة، وهي مجهود لبلوغ تجربة أكثر رقياً، أو التجربة النهائية، ومن يفهم طبيعة التجربة يرفض هذا كله، الأمر الذي ينهيه إلى الأبد، لأن عقله لا يتبع أحداً، وهو لا يسعى إلى تجربة، ولا إلى أي رغبة بالرؤى. إن السعي للرؤى، والنية بزيادة رهافة الإحساس، من خلال وسائل اصطناعية، كالمخدرات، والمدارس، والطقوس، والعبادة، والدعاء، فإنها تشكل نشاطاً ذاتي المركز.

سؤالنا إذاً هو التالي: كيف يستطيع العقل الذي أصبح سطحياً من خلال تأثير الموروث، ومن خلال فعل الزمن، والذاكرة، والتجربة، كيف يستطيع هذا العقل أن يتحرر من دون مجهود من سطحيته؟ كيف يستطيع أن يصبح يقظاً جداً لدرجة أن السعي لا يعني شيئاً بعد؟ العقل المستتير لا يطلب نوراً أكثر، فهو نور لذاته، وكل تأثير، وكل تجربة تنفذ في هذا النور، يتم استهلاكها من لحظة إلى لحظة، على نحو يكون فيه العقل نيراً على الدوام، وظاهراً، وبريئاً (لا يتأذى). فقط العقل المستتير، العقل السوي، يمكنه رؤية ما هو خارج حدود الزمن. وكيف يمكن أن

تولد هذه الحالة للذهن؟

هل السؤال واضح؟ هذا ليس سؤالاً، فهو يجب أن يكون سؤالاً ذا أهمية عامة، وبالتالي، أنا لا أفرضه. إذا ما فرضتُ هذا السؤال، فسوف تجعلون منه مشكلة. قائلين: "كيف يتم ذلك؟". إنه سؤال يجب أن يولد من إدراككم لأنكم عايشتموه، ورصدتموه، ورأيتم أيضاً ما هو هذا العالم، وتعرفون جيداً طريقتكم بالفعل. لقد قرأتم، وراكتم معارفاً، وتقدمتم في معرفتكم. رأيتم أشخاصاً، بعقل مشابه للكمبيوترات، أساتذة قادرين على "بسط" كمية مذهلة من المعارف، وتعرفتم على لاهوتيي أفكار ثابتة، وقد طوّرتُم نظريات رائعة في التفافكم حواليتهم. وأن تعوا هذا كله، على نحو لا يمكن تجنبه، يجب أن توجّهوا لأنفسكم السؤال: كيف يستطيع العقل الذي هو أسير الزمن، ونتاج الماضي أن "يرمي خارجاً" الماضي بالكامل، بسهولة، ومن دون أي مجهود؟ كيف يمكن له أن يكون حراً من الزمن، من دون أن يكون هناك أي مرشد، أو باعث على نحو يستطيع فيه العثور على ينبوع الحياة؟

والحال هذه، حينما يتم توجيه هذا السؤال إليكم من خلالكم أنتم أنفسكم، أو من خلال آخر، فما هو رد فعلكم؟ لا تجيبوني، أرجوكم، اصغوا فقط. والأمر يتعلق بسؤال له معنى كبير. ليس هو بمجرد سؤال سفسطائي، يمكن الإجابة عليه حالاً، أو وضعه جانباً. إنه سؤال ذو أهمية فائقة للعادة بالنسبة للشخص الذي اكتشف (ضمناً) تفاهات الأديان المنظّمة، و"كَنَس" الكهنة كلهم، والمرشدين الروحانيين "الغورو"، والمعابد، والكنائس، والطقوس، والبخور، وقذف هذا كله للرياح. وإذا ما بلغتم هذه النقطة بأنفسكم، عليكم أن تتساءلوا: كيف يستطيع العقل أن يتجاوز نفسه ذاتها؟

ماذا تفعلون عندما ترون أنفسكم مباشرة في مثل مشكلة هائلة،

وحيثما يحدث لكم أمر هائل على الفور؟ إنها التجربة الأساسية جداً، والمُلهمة التي تستحوذ على ذهنكم بالكامل، أو ليس حقيقة؟ يؤخذ عقلكم من خلال هذا الحدث الفريد على نحو يهدأ فيه. وهذه صفة للصمت. فالعقل "يتصرف" مثل طفل منحه لعبة تجذب انتباهه. تستحوذ اللعبة على ذهن الطفل، وتجعله يتركز، وهكذا ينسى الطفل لحظياً ألعيبه ومغامراته. يحدث الأمر نفسه مع الراشدين حين يرون أنفسهم أمام "حدث" غير اعتيادي وخاص. ويعدم فهم المعنى الحقيقي لهذه التجربة، فالعقل يبقى تحت هيمنة هذا "الحدث" ويصبح مُعرقلاً، ومصدوماً، ومشلولاً، وصامتاً، بشكل عابر. وهذا أمر لا شك أنكم اختبرتموه.

وهناك أيضاً نوع من الصمت العقلي الذي يمثل عند تأمل مشكلة بتركيز تام. وفي هذه الحالة، ليس ثمة شرود، لأننا في اللحظة الحاضرة لا نملك فكراً آخر، ولا اهتماماً آخر. ولا ننظر إلى أي جانب آخر، لأننا مهتمون فقط في هذه المشكلة، أو هذا الشيء، فيكثف التركيز الذي يستبعد كل شيء لا علاقة له بما هو مُركز عليه، وفي هذا المجهود ثمة حيوية، وضرورة ملحة، واضطرار يؤدي أيضاً إلى نوعية ما من الصمت. وعندما تستحوذ تلك اللعبة على العقل، أو يستغرق بكله في مشكلة، فهو في واقع الأمر يهرب فقط. لما تستولي عليه الصور، والرموز، والكلمات، مثل "الله"، "المخلص"، الخ، فهذا أيضاً هروب عميق، هروب من الحقيقة، وفي هذا الهروب ثمة صمت محدد. وفي حال ضحى العقل بنفسه، أو نسي نفسه ذاتها، من خلال التماهي الكامل مع شيء، يمكنه أن يبقى هادئاً، ولكنه يجد نفسه في حالة عصابية. فالرغبة بالتماهي مع غرض، أو فكرة، أو رمز، أو أمة، أو عرق... فهذا الأمر يفضح حالة عصابية، كما هي الحال عند أغلبية الأشخاص الذين يزعمون أنهم متديّنون. وهؤلاء متماهون مع المخلص، ومع المعلم، مع هذا أو ذاك،

تماهي يمنحهم اندفاعاً غير اعتيادي، ويجلب لهم رؤية طوباوية محددة للحياة، وهذا موقف عصابي كلياً.

وثمة أيضاً ذاك الذي تعلم التركيز عليه، وتعلم بنفسه ألا يشرد انتباهه إطلاقاً عن الفكرة أو الصورة أو الرمز الذي هو نفسه قام "بإسقاطه" أمامه. وماذا يحدث في هذه الحالة من التركيز؟ كل تركيز هو مجهود، وكل مجهود هو مقاومة. إنه مثل رجل شيداً حول نفسه جداراً دفاعياً، مع إبقائه فتحة صغيرة ينظر من خلالها تلك الفكرة الوحيدة أو الفكر على نحو لا يمكن زعزعته إطلاقاً. لا يكون "منفتحاً" إطلاقاً، وإنما يعيش على الدوام في داخل صدفة التركيز من وراء جدران سعيه الملمم لشيء ما، ويأتيكم من هذا شعور ذو حيوية هائلة، واندفاع يؤهلكم للقيام بأشياء خارقة، ونجدة الذين هم "من دون مأوى"، والعيش في الصحراء، وممارسة كل نوع من "الأعمال الحسنة"، ومع هذا فالأمر لا يزال ضمن نطاق النشاط ذاتي المركز للعقل، الذي ركز على أمر واحد فقط، مع استبعاد كل شيء آخر. وهذا أيضاً يضيء عليه سكينه ما جاعلة العقل صامتاً.

والحال هذه، ثمة صنف من الصمت، ما من أي علاقة له مع هذه الحالات العصابية، ومن هنا تمثل أمامنا الصعوبة، لأننا من سوء الحظ - أقول ذلك من دون إساءة - عموماً نحن عصائبيون. وهكذا، كي نستطيع أن نفهم ما هو هذا الصمت، علينا قبل كل شيء أن نحرر أنفسنا بالكامل من كل وأي حالة عصابية. وفي هذا الصمت لا توجد الشفقة على الذات، ولا رغبة بنتيجة، ولا "إسقاطاً" لصور، وليس ثمة رؤى، ولا صراعاً من أجل أن نركز، ويأتي هذا الصمت، من دون التماسه. ذات مرة حين يفهم استحواذ فكرة على العقل، والأشكال المتعددة للتركيز الذي يمارسه الشخص، وأيضاً لما يفهم سياق التفكير

كله. ومن هذا الرصد، ومن هذا الانتباه اليقظ لكل نشاط عقلي ذاتي المركز، يأتي حسٌ بالانضباط مرنٌ جداً، وهذا الانضباط ضروري. وهو ليس انضباطاً دفاعياً وارتجاعياً، وهذا الصمت لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بأن يجلس المرء في ركن مع ساقين متصلبتين، وصبيانيات أخرى. ليس في هذا الصمت ثمة محاكاة، ولا تكييفاً، ولا مجهوداً لكي يبلغ نتيجة. رصد حركات الفكر كلها، والرغبة، والجوع لتجارب جديدة، وسياق التماهي مع شيء ما، الرصد فقط، وفهم هذا كله يُنتج بشكل طبيعي، وبسهولة انضباطاً في حرية كاملة. ينبثق من الفهم الانضباطي إدراك خاص، وحالاً، حالة من الانتباه التام. وفي هذا الانتباه ثمة فضيلة، وهذه هي الفضيلة الوحيدة. وأما الأخلاقية الاجتماعية، والطبع المتطور عن المقاومة وفقاً للوقار والأخلاق الاجتماعية، فهذا ليس فضيلة بأي شكل من الأشكال. الفضيلة هي فهم البنية الاجتماعية كلها التي نهض بها الإنسان حول ذاته، وهي أيضاً فهم ما يُدعى "التضحية الذاتية" عن طريق التماهي والسيطرة. فمن هذا الانتباه، فقط يُعثر فيه على الفضيلة.

يجب أن تتمتعوا بعقل فاضل، أما ذاك العقل الذي يسعى فقط للتكيف مع النماذج الاجتماعية والدينية لمجتمع محدد، سواء كان رأسمالياً، أم شيوعياً، فعقل كهذا ليس فاضلاً. الفضيلة ضرورية لأنه من دون فضيلة ليس ثمة حرية. ولكن الأمر كالتواضع، لا يمكن غرسه. لا يمكننا غرس الفضيلة، تماماً كما أننا لا نستطيع غرس الحب. في حين، بتواجد انتباه تام، ثمة أيضاً فضيلة وحب. ومن هذا الانتباه يأتي الصمت الكلي، ليس فقط على مستوى العقل الواعي، بل على مستوى العقل اللاواعي أيضاً. وسواء الواعي أم اللاواعي فكلاهما في الحقيقة لا أهمية لهما، وإدراك عدم أهميتهما، يحررنا من الماضي ومن المستقبل.

فأعير انتباهاً كلياً للحاضر، الأمر الذي يمهد على مستوى الداخل أن تظهر طمأنينة ما، نشير إلى أننا لا نسعى بعد إلى تجربة. توفّف كل اختبار، لأنه لا شيء بعد هناك لاختباره. ويكون العقل يقضاً على الدوام، فالعقل نور لذاته نفسها. وفي هذه السكينة، وفي هذا الصمت، يتم العثور على السلام. ليس سلام السياسيين، وليس السلام بين حريين. وإنما سلام غير مولود من ردة الفعل. ولما العقل يكون هادئاً للغاية، يمكنه إذاً أن يتابع. إن فعل الهدوء يختلف بالكامل عن حركة النشاط ذاتي المركز. فعل الهدوء هو خلاق. ولما يكون العقل قادراً على التحرك بهذا الهدوء، فهو يعرف الموت والحب، ويمكن إذاً أن يعيش في هذا العالم ويكون حراً من العالم في الوقت نفسه.

سؤال: أرغب بالصمت بولع، ولكنني أرى أن محاولاتي لبلوغه تصبح كل مرة باعثة على الأسى أكثر.

كريشنا مورتى: أولاً، لا تستطيع أن ترغب بحماسة بالصمت، فأنت لا تعرف شيئاً، لا شيء على الإطلاق بخصوص هذا الصمت. وحتى لو عرفت شيئاً، فهذا لن يكون الصمت، لأن الأمر إذاً لن يكون على علاقة بالحقيقة. لذا، يجب أن تكون حريصاً جداً عندما تقول: "أعرف".

انظر يا سيدي! ما تعرفه، ستتعرّف عليه. أنا أتعرّف عليك، لأنني البارحة التقيتُ بك. وعندما سمعت ما قلته، ورأيتُ طريقتك في الوجود، أقول إنني أعرفك. فما أعرفه هو شيء من الماضي، ومن ذلك الماضي أتعرّف عليك مجدداً. ولكن الصمت لا يمكن التعرف عليه، فليس فيه ثمة أي سياق للتعرف عليه ثانية. ولذلك، قبل كل شيء فما يهم هو الفهم. وبالنسبة للتعرف على شيء ثانية، علينا أن نكون قد اخترنا سابقاً، وعرفناه فيما قبل، أو قرأنا بخصوصه، أو سمعنا عن وصفه،

ولكن ما يمكن التعرف عليه ثانية، ووصفه، ليس هو ذلك الصمت، الذي تتلهف إليه لأن حياتنا سطحية، وفارغة، ورتيبة، وبلهاء، ولذلك نرغب بالهروب من أفعالها المقيتة. إنما لا نستطيع الهروب من الحياة، بل علينا أن نفهمها. وكى نفهم شيئاً، لا يجب أن نقوم بركله مرات ومرات، ولا أن نتجنبه. يكفي أن يكون لدينا حب عظيم، وحنان حقيقي، لذلك الذي نريد فهمه. وإذا ما رغبتنا أن نفهم طفلاً، لا نستطيع إرغامه، وإجباره، أو مقارنته مع أخيه الأكبر سناً. علينا أن ننظر للطفل ونرصده، بحنان ولطف ومودة، بكل ما لدينا مما هو حسن. وعلى نحو مشابه، يجب أن نفهم هذا الشيء الاعتيادي الذي ندعوه "حياتنا". فمشاعر الغيرة، والصراعات، والعذابات، والمتاعب، ومشاعر الأسى. فمن هذا الفهم يصدر هدوء مختلف لا يمكن السعي إليه وتلمسه.

ثمة حكاية هامة لمريد (تلميذ) ذهب باحثاً عن معلم (شيخ مرشد). فالتقى به في حديقة جميلة ومروية جيداً، جلس المريد بالقرب منه، ليس بالضبط أمامه، لأن الجلوس مباشرة أمام المعلم لهو أمر غير مقبول لافتقاره للاحترام. وهكذا، جالساً إلى جانبه، صالبت التلميذ ساقيه وأغلق عينيه، إذك سأل المعلم: "يا صديقي، ماذا تفعل؟" فتح التلميذ عينيه، وأجاب: "يا معلم، أنا أحاول بلوغ وعي البوذا"، وأعاد إغلاق عينيه، من هنا إلى لحظات، التقط المعلم حجرتين، وأخذ يحك الواحد بالآخر، محدثاً ضجة قوية، وإذك تخلّى التلميذ عن وضعيته التي كان فيها وسأل: "يا معلم، ماذا تفعل؟"، أجابه المعلم: "إنني أحك هذين الحجرتين، لكي أجعل واحداً منهما مرآة". قال إذك التلميذ: "ولكن يا معلم، هذا لن يحدث أبداً، حتى لو بقيت مليون سنة وأنت تحكما ببعضهما" ابتسم إذك المعلم، وأجاب: "على نحو مماثل يا صديقي، فإنك تستطيع البقاء هنا جالساً لمليون سنة، ولن تبلغ ما

تحاول الوصول إليه". وهذا ما نفعله نحن جميعاً. نتخذ وضعيات،
ونرغب شيئاً ما، ونسعى لأمر، ملتجئين ما يقتضي مجهوداً، وصراعاً،
وانضباطاً. ولكنني أقول لكم: إنه لا شيء من هذه الأشياء سوف تفتح
لكم الباب، الأمر الذي يفعل ذلك هو الفهم من دون مجهود، و فقط
الانظر، والرصد بحنان، وبحب. ولكن ليس بوسعكم الحصول على الحب
إن لم تكونوا متواضعين، والتواضع يكون ممكناً فقط عندما لا ترغبون
شيئاً، لا من الآلهة، ولا من أي كائن إنساني.

30/ تموز/ 1964

الفصل العاشر

معنى الدين

أرغب في هذا الصباح، أن أتكلم عن معنى الدين، ليس فقط من أجل تفسيره على مستوى الكلمات، وإنما فهمه بعمق. ولكن قبل أن نتعمق في هذه المسألة، فإننا نحتاج لكي نستوضح ماهية العقل المتدين، وماهية حالة العقل الذي يتقضى فعلاً مسألة الدين.

يبدو لي إجمالاً أنه من الأهمية بمكان فهم الاختلاف بين العزلة والوحدة. يكاد نشاطنا اليومي كله يتمركز حول أنفسنا، ويتأسس على وجهة نظرنا الخاصة، وعلى تجاربنا نفسها، وطباعنا. نفكر ضمن مصطلحات متعلقة بعائلتنا، ووظيفتنا، وأهدافنا، وأيضاً في ما يتعلق بمخاوفنا، وآمالنا، ومشاعرنا باليأس. وهذا كله يتمركز حول الأنا بشكل واضح، الأمر الذي يؤدي إلى وجود حالة عزلة، كما يمكن أن نرى في حياة كل يوم، أنه لدينا رغبات شخصية سرية، ونداءات خفية، وأطماع، ولا نجد أنفسنا إطلاقاً على علاقة عميقة مع أحد، لا مع الزوجة، ولا مع الزوج، أو الأبناء. وهذه العزلة هي نتيجة للملل اليومي، والإحباطات، وتفاهات حياتنا اليومية. ويتسبب فيها أيضاً شعورنا الغريب بالوحدة، الأمر الذي ينقض علينا عندما نرى أنفسنا بشكل

مفاجئ منفصلين عن كل شيء، وحينما يكون كل شيء بعيداً عنا، وليس ثمة مشاركة، ولا علاقة مع أحد. أظن أن معظم الحاضرين ههنا، قد شعر بهذه الوحدة على نحو عميق - هذا إذا وعينا ذات مرة سياق وجودنا نفسه - .

وبسبب هذه الوحدة، وهذا الشعور بالعزلة، فإننا نعمل على تماهينا مع شيء ما أعظم منا، قد يكون الدولة، أو مثال، أو مفهوم حول الله. وهذا التماهي مع شيء أعظم أو خالد، شيء خارجي عن مجال تفكيرنا، يُدعى عموماً "دين"، ويقود إلى العقيدة، والطقس، والنشاطات المنفصلة لمجموعات متنافسة، ولكل واحد من أولئك الذين يؤمنون في جانب مختلف من الشيء نفسه، وعلى هذا، فما ندعوه "ديناً" يقود أيضاً إلى عزلة أكثر.

ويُرى أيضاً كيف أن العالم مجزأً إلى أمم متنافسة، وكل واحدة بحكومتها السيادية، ومشاكلها الاقتصادية. وبالرغم من أننا جميعاً كائنات إنسانية، فقد شيّدنا أسواراً في ما بيننا، وبين أمثالنا، كالقومية، والعرق، والطائفة، والطبقة، الأمر الذي على السواء يولد عزلة، وشعوراً بالوحدة.

والحال هذه، فالشخص الذي يقع في شبكة الشعور بالعزلة، وفي هذه الحالة من العزلة، لن يكون لديه إطلاقاً إمكانية فهم ما هو الدين. قد يؤمن، ويمتلك نظريات ما، ومفاهيماً، وطرائق، وقد يسعى للتماهي مع ما يدعوه "الله". ولكن الدين على ما يبدو لي لا علاقة له من قريب ولا من بعيد بالعقائد، والكهنة، والكنائس، أو ما نُطلق عليه تسمية كتب مقدسة. فقط يمكننا أن نفهم حالة العقل المتدين حين نبدأ بفهم ما هو الجمال. ويجب أن يبدأ فهم الجمال من خلال الشعور بالوحدة الكلية. و فقط في هذه الحالة يمكننا أن نعرف الجمال.

ومن الواضح أن الوحدة ليست عزلة، ولا تفرّداً. أن يصير "فرداً" يعني بشكل ما أن يصير المرء استثنائياً، في حين أن يكون المرء وحيداً بالكامل، يقتضي رهافة إحساس فائقة للعادة، وذكاء، وفهماً. "أن يكون المرء وحيداً" يشتمل على الشخص الذي يجد نفسه حراً من كل صنف من التأثير، وبالتالي، يكون مجرداً من التلوث الاجتماعي، وعلينا أن نكون وحيدين لكي نفهم ما هو "الدين"، الدين الحقيقي يكمن في الاكتشاف فردياً فيما إذا كان يوجد شيء خالد وأبدي.

العقل على ما هو عليه في الوقت الحالي، نتاج لآلاف السنين من التأثير البيولوجي والاجتماعي والوسط المحيط، والمناخي، والغذائي، الخ. وهذا أيضاً أمر واضح جداً. أنتم متأثرون من خلال التغذية، والصحف، والزوجة، أو الزوج، والجار، والسياسي، والإذاعة، والتلفاز، وأمور أخرى أكثر، أنتم متأثرون بما تم "سكبه" في العقل الواعي، وفي العقل اللاواعي، وبكثير من اتجاهات مختلفة. ألا يمكن أن نكون واعين لهذه التأثيرات التي لا تُحصَى على نحوٍ لا ندع أنفسنا تقع في شباك أي واحد منها؟ وإلا يصبح العقل مجرد وسيلة للوسط المحيط، قد يتمكن من إيجاد صورة عما يفكر العقل أنه الله، أو الحقيقة الأزلية، ويؤمن بهذا الشيء، ولكنه يستمر في كونه مقولباً من قبل الوسط المحيط، وضروراته، وتوتراته، وخرافاتة، وضغوطاته، وعقيدته الأمر الذي لا يمثل بالمطلق حالة عقل متدين.

وكمسيحيين، تمّت تنشئتكم في كنيسة تم بناؤها من قبل الإنسان على امتداد ألفي سنة، بكهنتها، وقوانين إيمانها، وطقوسها. ففي الصغر يعمّدونكم، وبينما تتمون، يقولون لكم ما يجب أن تؤمنوا به، فتمرّون بهذا السياق كله من الإشراف، و"غسيل الدماغ". والضغط الذي يمارسه هذا الدين بمكنته الدعائية (البروباغاندا)، فهو قوي بشكل واضح،

وخصوصاً لكونه منظماً جداً، ومؤهلاً لممارسة تأثير سيكولوجي على التربية، والتعبّد للصور، والتخويف، وإشراط العقل. وفي الشرق كله، فالأشخاص أيضاً مشروطون بقوة من خلال عقائدهم، وقوانين إيمانهم، وخرافاتهم، ومن خلال موروث يعود عهده إلى نحو عشرة آلاف عام أو أكثر.

والحال هذه، ما لم يكن العقل حراً، فلن تكون هناك إمكانية لاكتشاف ما هو حقيقي، وأن يكون في حرية يعني أن يجد نفسه حراً من أي تأثير. وعليكم أن تتحرروا من تأثير القومية، وتأثير كنيسةكم بعقائدها، وقوانين إيمانها، ويتوجب أيضاً أن تتحرروا من الجشع والحسد والخوف والمعاناة والطمع والمنافسة والقلق. وما لم تكونوا أحراراً من هذه الأشياء كلها، ومن الضغوطات الخارجية والداخلية التي لا تُحصَى، فسوف توجدون حالة متناقضة، وعصابية، وفي حالات مشابهة، لن نستطيع في أي ظرف أن نكتشف ما هو حقيقي، وفيما إذا كان يوجد شيء ما يتجاوز (يتعالى) الزمن.

إذاً، رأينا كم هو ضروري أن يتحرر العقل من التأثير كله. فهل هذا ممكن؟ وإن لم يكن ممكناً، فلن نستطيع إذاً اكتشاف الأبدى، والمطلق. وكما يكتشف شخص فيما إذا كان ممكن أولاً، على المرء أن يعي هذه التأثيرات التي لا تُحصَى، ليس فقط هنا في هذه الخيمة، وإنما أيضاً في حياته في كل يوم. وسيترتب عليه أن يرصد كيف تلوث هذه التأثيرات العقل، وتُقولبه، وتشرطه. ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون واعياً للتأثيرات المختلفة، والتي لا تُحصَى، والتي تترسب في العقل خلال الساعات كلها، ولكن يمكن إدراك الأهمية - وهذا ما يبدو لي على أنه النقطة الأساسية للمسألة - في أن نتحرر من التأثيرات كلها، وذات مرة تُفهم هذه الحاجة، فاللاوعي يدرك التأثير على الرغم أن العقل الواعي

قد لا يدركها مرات كثيرة.

هل هذا واضح؟

ما أنا أحاول الإشارة إليه، هو التالي: ثمة تأثيرات دقيقة للغاية في قلوبنا العقل، والعقل الذي جرت قلوبته من خلال التأثيرات التي يُعثر عليها دائماً في مجال الزمن، فلا يمكن بحال من الأحوال اكتشاف الأبدى. السؤال إذاً هو التالي: إن لم يكن لدى العقل الواعي إمكانية لإدراك التأثيرات كلها، ماذا سيتوجب عليه أن يفعل؟ إذا ما وجهتم هذا السؤال بجديّة، على نحو يقتضي انتباهكم الكلي، فسوف ترون أن الجزء اللاواعي منكم أنفسكم، لا يجد نفسه مشغولاً بالكامل عندما تكون الطبقات السطحية من العقل في حالة عمل. اتخذوا الأشياء بحرص، ولاحظوا التأثيرات التي سوف تظهر.

أعتبر فهُمَ ذلك هاماً، لأنكم إذا حرصتم فقط على مقاومة التأثيرات أو دافعتم عنها، فهذه المقاومة التي هي ارتجاع ستوجد في العقل إشرافاً أكثر. إنما فهُمَ السياق الكلي للتأثير، يتوجب أن يجري من دون أي مجهود، وأن يتمتع بسمة الإدراك الحالي. وما يحدث هو التالي: في حال أدركتم فعلاً الأهمية الهائلة بالألا تتركوا أنفسكم تتأثرون، إذاً فإن جزءاً ما من عقلكم سوف يتكلف بهذا العمل، بينما تنشغلون على نحو واع بأشياء أخرى، ويكون هذا الجزء متيقظاً جداً، ناشطاً ويقظاً. ويرى حالاً الأهمية الهائلة بالألا يتأثر المرء من خلال أي ظرف أو شخص. وهذه هي النقطة الأساسية، والقضية ليست كيف نقاوم التأثير، أو ما يجب القيام به عندما يكون المرء متأثراً. ذات مرة، يُفهم هذا الواقع المركزي، فسوف ترون أنه ثمة جزء من العقل يظل على الدوام يقظاً ومنتبهاً، ومستعداً دائماً على تفحص أي تأثير، حتى الأكثر دقة. ومن هذه الحالة غير المتأثرة تصدر وحدة مختلفة بالكامل عن العزلة. ثمة حاجة للوحدة،

لطالما أن الجمال يُعثر عليه خارج مجال الزمن، ولفقط العقل الذي يكون وحيداً بوسعه أن يعرف ما هو الجمال.

الجمال بالنسبة للأغلبية هو مسألة تناسب، وشكل وقياس، وشكل المحيط الخارجي واللون. نرى بناءً، شجرة، جبلاً، نهراً، ونقول إنه جميل، ولكن ههنا لا يزال "الكيان الخارجي"، والمختبر الذي يرصد هذه الأشياء، وبالنتيجة ما ندعوه "جمالاً" يجد نفسه لا يزال ضمن مجال الزمن. ولكنني، أشعر أن الجمال هو خارج الزمن، وكي يُعرف، فيجب على "المُجرب" أن يكف عن الوجود. فالمجرب ليس أكثر من تراكم بسيط للتجربة، يفيد للحكم، والتقييم، والتفكير. ولما يتأمل العقل لوحه، أو يسمع موسيقى، أو يرصد مجرى نهر، فهو يفعل ذلك عموماً مدعوماً على ذاك القاع للتجربة المتراكمة، وينظر من الماضي، ومن مجال الزمن، وبالنسبة لي فهذا ليس بمعرفة الجمال. معرفة الجمال، أو فنقل اكتشاف "الأبدي" ممكن فقط، لما يكون وحيداً على نحو كلي، وهذا لا علاقة له مع ما يقوله الكهنة، ومع ما تقوله الأديان المنظمة. فالشخص يجب أن يكون حراً من التأثير، وفساد المجتمع، ومن هذه البنية السيكولوجية للجشع والحسد والقلق والخوف. يجب أن يكون حراً من هذا كله. ومن هذه الحرية تأتي الوحدة، وفقط في حالة الوحدة يمكن للعقل أن يعرف ما يوجد خارج مجال الزمن.

الجمال وذاك الذي هو "أبدي"، لا يمكنهما أن يكونا منفصلين. قد ترسمون أو تكتبون، أو ترصدون الطبيعة، ولكن إذا كان هناك أي شكل من نشاط "الأنا"، أي فعالية للفكر متمركزة حول الأنا، إذاً فما تدركونه، يكف عن كونه جمالاً، لأنه لا يزال يُفهم ضمن مجال الزمن، وإن لم يُفهم الجمال بأي شكل من الأشكال، فلن تكتشفوا "الأبدي"، لأن هذين الشيئين متحدان. وكي يُكتشف "الأبدي"، والخالد، يجب أن يتحرر

الشخص من الزمن، باعتبار أن الزمن يكمن في الموروث، والمعرفة المتراكمة، وتجربة الماضي. وليست المسألة أن "تؤمن" أو "لا تؤمن"، ذلك أن أموراً كهذه "غير ناضجة"، وهي صبيانية إلى أقصى حد، وما من أي علاقة لها مع ما نحن بصدد التطرق إليه. أما من لديه اهتمام جدّي، ويرغب فعلاً أن "يكتشف"، فسوف يتخلى كلياً عن نشاط العزلة المتمركز حول الأنا، وسيبلغ بهذه الطريقة حالة يرى فيها نفسه وحيداً بالكامل، و فقط في هذه الحالة من الوحدة الكلية يمكننا أن نفهم الجمال والأبدي.

إنما الكلمات تخدع لطالما أنها رموز، ولا تشكل الحقيقة. وهي تحتوي على معنى، ومفهوم، ولكنهما ليسا الشيء نفسه. وهكذا، عندما أتكلم عن الأبدي، يجب أن تتحققوا فيما إذا كنتم متأثرين فقط بكلماتي، أو أنكم واقعون في شبكة عقيدة، الأمر الذي سيكون صبيانياً.

حسناً، كي نتحقق فيما إذا كان يوجد شيء كهذا "الأبدي"، فمن الضرورة بمكان أن نفهم ما هو الزمن. الزمن بالحقيقة هو شيء فائق للعادة، ولكنني لا أشير إلى الزمن التسلسلي، أو الزمن القياسي الذي من الواضح جداً أنه ضروري. أشير إلى الزمن كاستمرارية سيكولوجية. وهل يمكن أن نحيا من دون هذه الاستمرارية؟ من الواضح أن الأمر الذي يمنح الاستمرارية هو الفكر. فإذا ما فكرت في شيء على نحو متواصل، فهذا الشيء يتمتع بالاستمرارية. وإذا ما نظر أحد يومياً إلى صورة زوجته نفسها، فهو بذلك يمنحها استمرارية. ولكن هل من الممكن أن نحيا في هذا العالم من دون أن نمنح استمرارية للفعل، على نحو يكون فيه العقل جديداً على الدوام؟ أي هل أقدر أن أموت عن كل فعل في مجرى اليوم كله، على نحو لا يراكم فيه العقل أبداً، وبالتالي، لا يسمح لذاته أن تتلوّث بالماضي، مُبقياً على نفسه جديداً، و غضباً،

وسليماً بشكل دائم؟ أنا أقول إنه بالإمكان أن نحيا على هذا النحو، الأمر الذي لا يعني أن شيئاً كهذا حقيقة بالنسبة لكم. عليكم أنتم أنفسكم أن تكتشفوا ذلك.

لنبدأ الإدراك بأنه يجب على العقل أن يكون وحيداً بالكامل، ولكن ليس منعزلاً. ففي هذه الحالة من الوحدة الكلية ينبثق إدراك جمال خارق، لشيء غير مخلوق من خلال العقل. وهذا أمر لا شأن له في تجميع علامات موسيقية، أو في إعداد الألوان من أجل رسم لوحة، وإنما أن يجد المرء نفسه وحيداً، والعقل يكون مستغرقاً في الجمال، وبالنتيجة يكون حساساً للغاية، ويكونه حساساً، يكون ذكياً. وذكاءه ليس دهاءاً، وليس ما يعلمه، ولا حتى الإمكانية على فعل شيء محدد. إنه ذكي بمعنى لا يكون مَهَيِّمًا عليه، ولا متأثراً، وبعبارة أخرى، يكون من دون خوف. ولكن من أجل أن يجد نفسه في هذه الحالة، على العقل أن يكون قادراً على أن يجد نفسه في كل يوم، وهذا يعني أن يموت كل يوم عن الماضي، وعن كل شيء يعرفه.

والحال هذه، كما قلتُ، فالكلمة والرمز ليسا الحقيقة. الكلمة "شجرة" ليست هي الشجرة. يجب إذاً أن نكون منتبهين كي لا نعلق في شبكة الكلمات. ويكون العقل حراً من الكلمة والرمز، يصبح حساساً جداً، ومؤهلاً للتقصي، ويحقق اكتشافات.

وفي النهاية، فالإنسان يبحث عن هذا الشيء منذ وقت طويل، منذ الأزمنة الأقدم كثيراً. وهو يرغب بالعثور على شيء لا يكون تصوراً إنسانياً. وفضلاً عن كون الأديان المنظمة، لا تعني شيئاً بالنسبة للكائن الذكي، وبالرغم من أنها تعلن دوماً عن وجود شيء متعال، والإنسان لم يتخلّ البتة عن السعي لهذا الشيء، لأنه عاش دوماً في المعاناة، وفي العذاب، وفي التشويش، وفي الشعور باليأس. وأن يرى نفسه في حالة لا

تتوقف من الزوال، فهو يرغب بالعثور على شيء دائم وبقا، وأن يتمتع بالاستمرارية، وبحثه بالتالي كان محصوراً على الدوام ضمن مجال الزمن. ولكن، كيف يستطيع أن يرصد، فليس هناك أي شيء دائم. علاقاتنا، ووظائفنا، كل شيء زائل. وبسبب خوفنا من هذا الزوال، فنحن دائماً في بحث عن شيء دائم ندعوه "خالداً"، "أبدياً"، أو كما شئتم. ولكن هذا البحث عن الدائم، والخالد، والأبدي، هو مجرد ارتجاع. وبالتالي، لا قيمة له. فقط عندما يكون العقل حراً من هذه الرغبة باليقين، يستطيع أن يبدأ الاكتشاف فيما إذا كان شيء كهذا موجوداً، أي "الأبدي"، شيء يتجاوز الزمان والمكان، والمفكر، والشيء الذي يفكر فيه، أو يبحث عنه. يتطلب الرصد وفهم هذا كله انتباهاً تاماً، ومرونة الانضباط الناجم عن انتباه كهذا. وفي هذا الانتباه ليس ثمة شرود، ولا ثمة توتر، ولا ثمة حركة بأي شكل من الأشكال. لأن كل حركة وكل باعث من هذه الطبيعة، ينجم عن التأثير، سواء من الماضي أم من الحاضر. وفي هذه الحالة من الانتباه الحر من المجهود، يمثل وعياً فائقاً للعادة بالحرية، و فقط إذاك، يجد نفسه فارغاً على نحو كلي، وساكناً، وهادئاً، ويكون العقل إذاً قادراً على اكتشاف "الأبدي".

ربما ترغبون بطرح أسئلة بخصوص ما قيل في هذا الصباح.

سؤال: كيف يستطيع شخص أن يكون حراً من الرغبة باليقين؟

كريشنا مورتى: إن كلمة "كيف" تقترض طريقة أليس كذلك؟ إذا كنت مهندساً، وأنا أسألك كيف يُبنى بيت، فبوسعك أن تقول لي ما يجب أن أقوم به لأن هناك طريقة، ومنهجاً، وأسلوباً لتنفيذ هذا العمل. ولكن الامتثال لمنهج، أو طريقة، فهو أمر يُشترط العقل، انظر إذاً إلى العقبة التي يُحدثها توظيف كلمة "كيف".

هل نحتاج أيضاً إلى فهم الرغبة. ما هي الرغبة؟

ذات يوم، كنتُ أتفحص هذا الأمر، وأمل من أولئك الذين كانوا حاضرين قد فهموا معنى ما قلتُ، فلا يشعرون بالضجر مما أقوله الآن. لأنه حقيقة، الشخص الذي يصفي إلى هذه المحاضرات مرات عديدة، فهو يدرك كل مرة شيئاً جديداً.

ما هي الرغبة؟ كما قلتُ في ذلك اليوم، ثمة الرؤية، أو الإدراك، بعدما يحصل الاتصال، وأيضاً الإحساس، وفي النهاية، ظهور ما ندعوه "رغبة". وهذا ما يحدث بالتأكيد، انتبهوا جيداً، على سبيل المثال، أرى سيارة جميلة. ومن فعل الرؤية هذا، حتى من دون لمس السيارة، ثمة إحساس يوجد بدوره الرغبة التي تقوده وتتملّكّه. لا يهمنا هنا كيف نقاوم أو نتحرر من الرغبة لأن الإنسان الذي قاوم الرغبة، ويظن أنه تحرر منها، فهو في الحقيقة قد شلّ نفسه، وصار ميتاً. المهم في الموضوع كله هو فهم سياق الرغبة كله، بمعنى آخر، فهم سواء أهميتها أم معناها الكلي. علينا أن نعرف، ليس كيف تُبطل الرغبة، بل أن نكتشف ذلك الذي يمنحها استمرارية.

والحال هذه، ما الذي يمنح استمرارية للرغبة؟ الفكر أليس كذلك؟ أولاً تحصل رؤية السيارة، وفيما بعد يأتي الإحساس متبوعاً بالرغبة، وإذا لم يتدخل الفكر، ولم يعط استمراراً للرغبة قائلاً: "أحتاج لامتلاك هذه السيارة، كيف سأتمكن من الحصول عليها؟ إذاك فالرغبة تنتهي. هل تفهمون الأمر؟ أنا لا أشدد على الحاجة في أن نبقى أحراراً من الرغبة، بل على العكس تماماً؟ ما أنا بصدد قوله هو أن يتم فهم طبيعة الرغبة، لأننا سوف نرى إذاك أن الرغبة لن يكون لها متابعة، بل سيكون هناك شيء آخر مختلف بالكامل.

وهكذا، فالمهم ليس الرغبة في حد ذاتها، وإنما الواقع الذي نضفي من خلاله استمرارية لها. على سبيل المثال، نمنح استمرارية للجنس

بواسطة الفكر، والتخيلات، والصور، والإحساس، والذكرى، ونبقى على الحياة ذاكرة هذه الأشياء، مفكرين فيها، وهذا ما يجعل الجنسية تتشط بالاهتزاز مع حواسنا نفسها. حسناً، أعرف أن المتعة الجنسية لها أهميتها الحقيقية، ولكننا نضفي عليها قيمة مفرطة في حياتنا من خلال الرغبة في تكرارها. إذاً، فالمهم ليس في أن نتحرر من الرغبة، وإنما أن نفهم بُنيَتها، وكيف أن الفكر يمنحها قوة في الاستمرار، وهذا يكفي. العقل إذاً حر، ولا أحداً يحتاج للبحث عن طريقة للتحرر من الرغبة. وفي اللحظة التي نشدها، نورط أنفسنا في صراع. حالما ترون سيارة، امرأة، منزلاً، أو أي شيء يجذبكم، فالفكر يتدخل، ويوقظ الرغبة، ويصبح كل شيء مشكلة لا تنتهي.

الأساسي في الأمر هو أن نحيا حياة من دون مجهود، ومن دون أي مشكلة، ومن الممكن أن نحيا من دون أي مشكلة عندما تُفهم طبيعة المجهود، وتُدرك بوضوح البنية الكاملة للرغبة. ولدينا عموماً مشاكل لا تُحصَى، وكي نكون مجردين من المشاكل يكفي أن نضع نهاية لكل مشكلة حالما تتبثق على الفور. لقد تأملنا بشكل كافٍ في هذا الموضوع، ولا أنوي تفحصه مجدداً. إلا أنه من الضروري بالمطلق ألا يكون لدى العقل أي مشكلة، وعلى هذا النحو يحيا الشخص حياة من دون مجهود. ومن المؤكد أن هذا هو العقل الوحيد الذي يكون متديناً، لطالما أنه فهم المعاناة، وأنهاها، وهذا العقل لا خوف فيه، وبالتالي فهو نور لذاته.

1964/آب/2

يصل بنا (كريشنا مورتى) عبر محاضراته المتوالية في هذا الكتاب، إلى "العقل المستتير"، إلى الاستنارة الروحية، فالاستنارة لا تأتي حسب رأيه باتباع طرق للتأمل أو مناهج تتبعها عدة مدارس للتأمل، بل تأتي فجأة في لحظة إما حرجة جداً لدرجة أن الفكر يتوقف فيها، أو في لحظة يكون العقل فيها صافياً وفارغاً من محتواه فيحدث الصمت، ويختفي (الأنا - الراصد) تماماً في هذا الصمت العجيب الذي لا يمكن معرفته، ولا التعرف عليه لأنه جديد في كل لحظة، وهكذا يستتير الذهن من لحظة إلى لحظة يزداد عمقاً وحكمة وتعلماً ووعياً للوجود والحياة. إذاً كريشنا مورتى يدفعنا إلى هذه الاستنارة التي تحصل كما سبق وذكرنا عندما يواجه العقل تحدياً خارقاً يجعله يتجاوز حدوده، وبالتالي، يتجاوز الزمن السيكولوجي ويشعر بنفحة الأبدية تلوح في أعماقه، وها هو في استنارة مباركة.